من أخلاق العلماء

آية اللّه العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي (دام ظله)

مقدمة المؤلف

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه رب العالمين، والصلاة والسلام على محمّد وآله الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

إنّ من أهم ما يحتاج إليه الإنسان لينال به سعادة الدنيا والآخرة وكرامتهما، هو الخلق الحسن، والإنسان كما يرتفع ويبتهج بالأخلاق الفاضلة، كذلك ينتكس ويتعذب برذائل الأخلاق.

ألا ترى أنّه لو غفل الإنسان عن نفسه وتلفظ بكلام غير لائق به كيف يندم ويتعذب نفسياً عند ما يلتفت إلى خطئه ويعود إلى نفسه.

وكذلك الحسود ألا تراه كيف يؤذي نفسه ويعذّب ضميره حين يحسد الآخرين ولا يحس بالراحة إلاّ إذا تخلّى عن الحسد، وأزاح هذه الصفة السيئة عن نفسه؟

وهكذا البخيل ألا ترى كيف يذمه الناس وينفضّون من حوله، وبمجرّد ما يرجع إلى الجود والسخاء يرجعون عليه بالمدح والثناء ويلتفّون حوله؟

وعليه: فمن الخطأ أن يتصور الإنسان أنّه لو تخلّى عن الفضائل ومحاسن الأخلاق ان سوف يحصل على التحرر من عذاب الضمير، وتأنيب الوجدان، وان سيعيش برغد اكثر، وحرية كبرى، وسعادة قصوى، بل بالعكس من ذلك تماماً.

ولهذا نرى أنّ رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) لخّص رسالته في قوله: (إنّما بعثت لاتمّم مكارم الأخلاق)(١) وذلك لما في ظلال الأخلاق من حياة كريمة، وراحة وجدان، وسعادة أبدية.

وقال الشاعر:

إنّما الأمم الأخلاق إن بقيت وإن هُم ذُهبت أخلاقهم ذهبوا

هذا هو الواقع المتسالم عليه، رغم ما إدعته الشيوعية من ان الأخلاق أوهام اختلقها أصحاب الأموال

---

١ ـ مستدرك الوسائل : ١١ / ١٨٧ ب ٦ ح ١٢٧٠١.

وبثّوها في الناس لحفظ رؤوس أموالهم ورعاية مصالحهم، فإنّ هذا الإدعاء لا أساس له، ولذا ترى الشيوعيّة نفسها تمدح الجندي المقدام لشجاعته، وتذم الجندي الجبان على جبنه، وترفّع الحزبي المناضل لحزبه، وتطرد الحزبي الخائن من حزبه، وهكذا.

ولأجل تثبيت قواعد الأخلاق، وترسيخ أصوله ومبانيه، كتبت هذا الكراس وسمّيته: (من أخلاق العلماء) والقصد من كتابته تبيين نبذة يسيرة من أخلاق فقهائنا المراجع، حتى يكونوا لنا أسوة وقدوة، وخاصة لرجال الدين فإنّه يجب علينا أن نواصل طريقهم ونسعى لنشر الإسلام وتعاليمه الأخلاقية الفذة، وتبليغ الدين الحنيف إلى الأجيال كما بلّغوه إلينا، وفقنا اللّه تعالى لما فيه رضاه والجنة، وهو الموفق المعين.

كربلاء المقدسة

محمد بن المهدي الحسيني الشيرازي

التجاهر بزيارة الجامعة

يحكى عن المرحوم الشيخ مرتضى الأنصاري (قدس سره) أنّه أيام كان في النجف الأشرف، كان يواظب على زيارة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) فكان يتشرف كل يوم بالحضور في الروضة الحيدرية المباركة ويقف عند الضريح المبارك من الحرم الشريف، ويزور الإمام (عليه السلام) بزيارة الجامعة الكبيرة ويرفع صوته بها.

وذات مرة أقبل عليه أحد المغرضين الذين في قلوبهم مرض وقال له: إلى متى ترائي في عملك؟

فأجابه الشيخ برحابة وابتسام: وأنت أيضاً إئت بمثل هذا الرياء. وذلك من دون ان يغضب عليه أو يعنّف به، مع أنّ المعترض عليه أراد تنقيصه والازدراء به.

من آثار الوضوء

قيل لوالدة الشيخ مرتضى الأنصاري (قدس سرّه) : هنيئاً لك على ما رزقك اللّه من ولد وبارك لك فيه، فلقد بلغ في العلم والتقوى درجات رفيعة، ومقامات عالية، قلّ ما يبلغهما أحد مثله.

فقالت في جوابهم: انّي كنت اتوقع منه أكثر مما ترونه فيه، وأرقى ممّا وصل إليه اليوم، وذلك لأنّي لم ارضعه حتى رضعة واحدة من غير وضوء، فقد تحملت البرد والحر، في الصيف والشتاء وفي السفر والحضر وفي كل حال حتى توضأت ثمّ أرضعته، فكيف لا يكون هكذا من نشأ كذلك؟

التورّع عن المعصية

ينقل المرحوم السيد محمّد مهدي بحر العلوم (قدس سرّه) - الذي كان يُعرف بكثرة تشرفه بزيارة الإمام

المهدي (عجل الله تعالى فرجه) ويحظى بلقائه (عجل الله تعالى فرجه) - أنّه لما كان يافعاً لم يبلغ الحلم، خرج من مجلس مقاطعاً له وهو يبكي.

فقيل له في ذلك، متسائلين عن سبب بكائه؟

فقال: كيف لا أبكي ولا أقاطع مجلساً يعصى اللّه تعالى فيه علانية وجهاراً؟

ثمّ تبيّن أنّه كان قد اشتغل أهل المجلس باغتياب الناس فيه.

نعم هكذا إنسان يؤهل لأن يكون ممن ينال شرف الزيارة، ويحصل على لقاء بقية اللّه في الأرضين، الحجّة بن الحسن المهدي عجل اللّه تعالى فرجه الشريف.

المعاشرة الحسنة

نقل أحد الشخصيات العلمية الذي كان قد سافر إلى سوريا لزيارة السيدة زينب سلام اللّه عليها: انّه راى المرحوم السيد محسن الأمين صاحب (أعيان الشيعة) في سوق الحميدية بالشام، وهو في تشييع جنازة أحد علماء العامّة.

قال: فلحقته وسلمت عليه وصحبته حتى وصلنا إلى المسجد الأموي، فامتلأ المسجد بالمشيعين وتقدم السيد الأمين للصلاة عليه - بطلب من أولياء الميت - ولمّا أتمّ الصلاة ازدحم الناس عليه يحيّونه ويقبلون يديه.

فتعجبت من ذلك وسألت السيد قائلاً: أوليس هؤلاء من العامة، فكيف طلبوا منك الصلاة على جنازة عالمهم؟

ثمّ كيف يقبّلون يديك وهم يعلمون بأنّك من علماء الشيعة وشخصياتهم؟

فأجاب السيد: إنّ ذلك كلّه نتيجة الرفق بهم والمداراة طوال عشرة سنين.

ثمّ واصل كلامه وقال: إني لما قدمت الشام أغرى بعض الجهال بي أشد المخالفين عليّ، ليؤذونني حتى إنّهم علّموا أطفالهم يرمونني في السوق بالحجارة، ويسحبون عمامتي من رأسي أحياناً من الخلف، فصبرت على ذلك، وقابلت مسائهم بالإحسان، وأذاهم بالغفران، وشيّعت جنائزهم، وعدت مرضاهم، وتفقدت غائبهم، وعاشرت حاضريهم بوجه منطلق، حتى تبدّل البغض حباً، والعداء وداً، والفرقة الفة وإنسجاماً.

مع شاعر أهل البيت

يقال: أن المرحوم السيد حيدر الحلي - شاعر أهل البيت، المعروف بولائه وجودة شعره - دخل يوماً على الميرزا محمد حسن الشيرازي (قدس سرّه) قائد ثورة التنباك، وألقى عليه قصيدة كان قد نظمها بالمناسبة، فأمر له الميرزا بجائزة قدرها عشرون ليرة ذهبية.

فقال له ابن عمه الميرزا إسماعيل الشيرازي (قدس سرّه) - وكان هو أيضاً شاعراً قديراً وعالماً نحريراً وقد حصل لجدارته مرتبة مشاورة الميرزا -: ان السيد حيدر هو شاعر أهل البيت ومن أبنائهم، وصلة شعراء أهل البيت أكثر من ذلك، وجائزتهم أكبر.

فقال له الميرزا: صدقت يا ابن العم، ثمّ أمر له بجائزة قدرها ستمائة ليرة ذهبية.

الملوك على أبواب العلماء

يذكر عن كافي الكفاة الصاحب بن عباد، الذي هو أحد كبار شخصيات الشيعة في عصره وزمانه، وكان عبقرياً نحريراً وشاعراً أديباً، ولغوياً بارعاً، وقد ولي منصب الوزارة في حكومة البويهيين أعواماً طويلة، وأفاض أيام وزارته على البلاد والعباد تقدماً ورُقياً وجوداً وحساباً وأدباً وأخلاقاً.

يذكر عنه: أنّه سافر إلى إحدى المدن النائية ليلتقي فيها بأحد العلماء القاطنين هناك وينال زيارته من قريب، فلما وصل إليها، بعث بأبيات شعرية إلى ذلك العالم يطلب منه فيها إذنَهُ بملاقاته وزيارته إيّاه في داره، وعندما وصلت الأبيات الشعرية إلى ذلك العالم وإطلع على مضمونها، كتب في جوابه - وهو يرفض لقاء الوزير بلا مبالاة به ولا خوف منه أو تملق له - البيت التالي:

أهمّ بأمر الحزم لو أستطيعه وقد حيل بين العير والنزوان

نعم، لما يكون الملوك على أبواب العلماء، فنعم الملوك ونعم العلماء، وإذا إنقلب الأمر إلى العكس وكان العلماء على أبواب الملوك، فبئس الملوك وبئس العلماء.

قال علي (عليه السلام): (الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك)(٢)

مأوى الأسد: الأجَمات

كان قد طرق سمع (ناصر الدين شاه) كلمات اطراء حول مؤلف كتاب (المنظومة) في المنطق والحكمة، الحاج هادي السبزواري، فأحب ان يراه عن كثب، ولذلك عزم على السفر إلى خراسان - ولكن سفراً غير رسمي - حتى يتوفق لرؤيته.

فلما وصل في طريقه إلى نيشابور، زاره فيها العلماء وشخصيات البلد، ولم يكن فيما بينهم الحاج هادي السبزواري، فأضطرّ ان يذهب وحده إلى سبزوار علّه يحظى هناك بزيارته.

ولما وصلها توجّه إلى داره ودخل عليه بلا خبر مسبق، فرآه جالساً على حصير عادي في بيت متواضع، خال من كل زخارف الحياة ومباهجها، فتعجب من ذلك.

لكن زاد تعجبه لما صار وقت تناول طعام الغداء، حيث جاء إليه خادمه بطبق فيه قرصان يابسان من الشعير، وقليل من الملح الجريش، ومقدار من اللبن الحامض، وملعقتان من خشب، ووضعه أمامهما.

عندها توجه السبزواري إلى الملك وقال: تفضل على اسم اللّه.

فلما رأى الملك انّه لا يستطيع الأكل منه، اخرج منديلاً وأخذ كسرة من ذلك الخبز الشعير اليابس للتبرك

---

٢ ـ مستدرك الوسائل : ١٧ / ٣١٦ ب ١١ ح ٢١٤٥٥.

ووضعها فيه، ليكون قد شارك السبزواري في طعامه وغدائه، ثمّ عزم على مغادرته فقام وهو يودّعه ليخرج من عنده.

فشيّعه السبزواري ببيت من الشعر مضمونها: إنك لو رأيت عندي الحصير العادي والبيت المتواضع، فلا تتأثر فإن الأسد الذي هو سلطان الغاب يسكن الأهوار والأجمات.

فاستحسن الملك كلامه وودعه وهو متعجب من شدة زهده وتقشفه.

أوحدي زمانه

يقال: أنّه لما دخل (نادر شاه) العراق فاتحاً، توجه إلى النجف الأشرف لزيارة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) فزاره علماء النجف غير واحد منهم لم يزره.

فظن الملك ان ذلك العالم الذي غاب عن زيارته قد تكبّر عليه، فأمر وزيره بإحضاره، وقال: إذا إمتنع عن الحضور فهدّده بالقتل.

بلّغ الوزير رسالة الملك إلى ذلك العالم.

فأبى العالم ان يأتي لزيارته وقال: قل للملك يفعل ما يشاء.

فلما وصل هذا الخبر إلى الملك استطار غضباً وعزم على تنفيذ ما هدّده به من القتل.

لكن الوزير قال له - وهو يحاول زحزحة الملك عن تهديداته والنزول عن غضبه-: ان هذا العالم هو الأوحدي في زمانه، ومن خصائص هكذا علماء الابتعاد عن الدنيا وأهلها، وملوكها وسلاطينها، والعزوف عنهم، فلو شئت زرته أنت بنفسك.

وافق الملك على قول وزيره وعزم على أن يزور ذلك العالم بنفسه، فلما دخل عليه في بيته المتواضع ووقعت عينا الملك عليه، أكبره ووقّره، واحترمه وتواضع له، ثمّ قال له بكل تواضع: لو كانت لكم حاجة فأمروني بتنفيذها.

فأجابه العالم: ليست لي إليك حاجة، وإنّما أرجوك ان لا تمس الناس وخاصة أهالي النجف الأشرف بسوء وأذى.

فقال الملك بانكسار: سمعاً وطاعة: ثمّ ودعه ورجع القهقري حتى خرج من عنده.

فتعجب الوزير من ذلك، فإلتفت إليه - عندما خرجا -: كم الفرق بين السيرتين: التهديد بالقتل، والتواضع له والانكسار إلى هذا الحد؟

فأجاب الملك: إني لما عزمت على فتح العراق رأيت الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في المنام ورأيت هذا العالم إلى جنبه.

التحدي الجريء

يحكى أنّه لما أراد البريطانيون إحتلال العراق، واجهوا مقاومة العراقيين لهم بكل شدة، ورأوا أنّ جذر المقاومة التي تمد الناس بالقوة والمعنوية هي مراكز العلم والعلماء وفي مقدمتهم: النجف الأشرف وكربلاء المقدسة.

ولذلك لما فرضوا سيطرتهم على العراق بالكامل، فكّروا في الإنتقام، فبدأوا بالنجف الأشرف، فبعثوا الحاكم البريطاني إلى السيد محمّد كاظم اليزدي صاحب العروة (قدس سرّه) ليقول له: ان الحكومة البريطانية تطلب من سماحتكم مغادرة النجف الأشرف.

قال السيد: ولماذا؟

أجاب: لأنا نريد الإنتقام من الأهالي.

قال: أخرج وحدي أم مع عائلتي وأسرتي؟

أجاب: بل مع عائلتكم وأسرتكم.

قال: فإنّ أهالي النجف الأشرف كلهم أسرتي وعائلتي، وإنّي لن أخرج منها مهما كلف الأمر، وسوف أبقى وليصيبني فيها ما يصيبهم.

وبذلك ردّ الحاكم البريطاني خائباً، وتراجعت الحكومة البريطانية عن نواياها بالنسبة لأهالي النجف الأشرف على أثر مقاومة السيد اليزدي وشجاعته، ووفائه وإخلاصه.

المرجعية: مسؤولية كبرى

كنت بصحبة والدي المرحوم السيد ميرزا مهدي الشيرازي، وابن عمي المرحوم السيد ابو القاسم الشيرازي، في مجلس كان فيه المرحوم السيد عبد الهادي الشيرازي أيضاً، وفي الأثناء جاءنا خبر وفاة المرجع الديني الكبير السيد أبي الحسن الأصفهاني (قدس سره)(٣) فتأسفنا جميعاً وتأثرنا بالخبر المفجع، غير انّ الذي تغيّر لونه واضطربت أحواله أكثر من الجميع، كان هو الميرزا السيد عبد الهادي الشيرازي (قدس سره) ، حيث إنّه كان مرشحاً من قبل بعض خواص العلماء وأهل الرأي والنظر للزعامة العامة والمرجعية الدينية، وخوفاً من ذلك بدى الاضطراب عليه وهو يقول مردداً: أستجير باللّه تعالى مما أخاف وأحذر، وإني يا رب أخاف من ان تصلني مسؤولية الزعامة والمرجعية، وأحذر من عبئها الثقيل ومسؤوليتها الكبرى، وهكذا بقي مضطرباً من ألم المصاب ومن خوف المسؤولية.

وحق له ذلك، فإنّ مصاب فقد مرجع كبير كالسيد الأصفهاني (قدس سره) كان كبيراً ومؤلماً، كما أن عبء المرجعية الشيعيّة والزعامة الدينية العامة كبير وثقيل أيضاً، ومن المعلوم: ان من يخاف من شيء، يأخذ حذره

---

٣ ـ كان ذلك عام (١٣٦٥) هجرية.

منه ويتهيّأ له، ويتحفظ عن مساقطه ومهاويه بقدر ما يستطيع، وكذلك كان (قدس سرّه) فقد استطاع أيام مرجعيته العليا بعد السيد البروجردي (قدس سرّه) من بث روح التقوى والورع، ونشر الثقافة الدينية والأخلاق الإسلامية في أوساط المسلمين وخاصة الحوزات الدينية والعلمية المباركة.

الخير عادة

نقل لي والدي (قدس سرّه) عن ذكريات صغره القصة التالية قائلاً:

إني لا أنسى أيام كنت صغيراً أدرج في البيت بمنظر ومرأى من والدتي (رحمها الله) ، تعتني بتربيتي وتأديبي غاية الإعتناء، حتى إني أتذكر جيداً انّها كانت من الصالحات القانتات، وعلى اثر ذلك كان لا يفوتها نافلة الليل وتلاوة القرآن بالاسحار، وكانت إذا قامت لصلاة الليل والتهجّد فيه أيقظتني معها، واصطحبتني إلى مصلاها، وأقعدتني إلى جنبها، وكانت توصيني بالإنتباه إليها وعدم النوم والغفلة عنها.

وحيث كنت صغيراً يغلب عليّ النوم، ولم أكن في سنّ أقدر على الصلاة معها، كانت تجعل امامي ظرفاً وفيه شيء من الحمص والكشمش لاشتغل عن النوم بأكلها واللعب بها، وبالفعل كنت الهو بها عن النوم، وبهذا الأسلوب كانت تعلمني والدتي رحمها الله تعالى- على القيام في الأسحار ـ وتعوّدني على الانتباه المبكّر قبل الفجر لنافلة الليل والتهجّد فيه ـ رغم اني كنت صغيراً ويطغى عليّ النوم، وربما كنت لا أستطيع المشي عندما توقضني والدتي في السحر من غلبة النعاس، لكنها كانت تتحمل كل ذلك مني برحابة صدر، وإنبساط وجه، وطيبة لسان، وطهارة قلب، حتى إعتدت الإسحار والتبكير بلا مشقة وعناء.

ومن طلب العلى سهر الليالي

الكثير من الناس يسهرون الليل، ولكن ليس كلهم يسهر على وشيكة واحدة، وإنّما هم في ذلك على قسمين:

قسم يسهر الليل فيكتسب من الليل بؤساً وعناءً، وظلاماً وضعة.

وقسم يسهر الليل فيكتسب من الليل غنى وراحة، ونوراً ورفعة، ومن هذا القسم العلماء وتاريخهم يشهد لهم بذلك.

فهذا العلامة الشيخ محمّد باقر المجلسي (قدس سرّه) صاحب كتاب بحار الأنوار، على ما ينقل عنه كان اكثر أيام حياته مريضاً، وقد أصيب مدة غير قصيرة برمد في عينيه مما منعته من التأليف والتصنيف، إضافة الى ذلك كان اجتماعياً، كثير المعاشرة، مرجعاً وملاذاً للناس يرجعون إليه في أمورهم وقضاياهم، ومسائلهم وأحكامهم، وكان مضافاً الى ذلك مدرساً قديراً، يلقي الدروس العلمية ويفسر المعارف الدينية على طلاب العلوم، إضافة إلى تعهد شؤونهم وشؤون الحوزات العلمية والى غيرها من المشاغل الاجتماعية التي كان مشتغلاً بها ومع كل ذلك ألّف وكتب عدداً كبيراً من الكتب والتصانيف المهمة والمفيدة، منها بحار الأنوار، مما لو قسّم على أيّام عمره، كان حصة كل يوم ما لا يقل عن مائتي سطر ـ علماً بأنّه توفي عن عصر بلغ ثلاثة وستين عاماً ـ

حتى انّه على ما قيل - كتب رسالة الإعتقادات، الحاوية لما يقرب من ألف سطر في ليلة واحدة مما يظهر انّه لم يكن ذلك منه إلا لما كان يسهره من الليالي.

فإن من طلب العلى سهر الليالي***وغاص البحر من طلب اللئالي

مصاحبة الخلفاء والملوك

كتب أحد الخلفاء إلى أحد العلماء، يطلب منه ان يرافقه لينصحه ويرشده.

فكتب إليه العالم في جوابه: الذي ينصحك لا يصحبك والذي يصحبك لا ينصحك.

وربما نسب هذا إلى أحد الأئمّة الطاهرين عليهم الصلوة والسلام مع أحد خلفاء بني العباس(٤).

على مائدة الملك

قيل عن أحد الملوك: انه دعى العلماء والقضاة إلى الإفطار في ليلة من ليالي شهر رمضان المبارك.

فامتنع أحدهم من الإجابة، وكان قصد الملك من الضيافة هو ذاك الممتنع وإنّما أضاف الباقين لأنّ يشبّهه الأمر عليه، علّه يجيب.

فأصرّ الملك على قبوله، وأخيراً قبل العالم بشرط ان لا يأكل من طعام الملك، وإنّما يحضر مجلس الضيافة مصطحباً معه طعام فطوره يأكل منه لكن على مائدة الملك.

فقبل الملك شرط العالم، فحضر العالم على المائدة وبسط منديله وأخذ يأكل لقيمات بجنب الملك، فمدّ الملك يده الى منديل العالم وأكل منه لقمة ليفتح على نفسه طريقاً إلى إجبار العالم على الأكل من طعامه بحجة المقابلة، ولكن فوجئ الملك بقول العالم: الحمد للّه رب العالمين، وجمع المنديل مؤذناً بتمام افطاره.

قال الملك وهو آيس من نجاح خطّته: أنا أكلت من طعامك فأرجو أن تأكل من طعامي.

قال العالم: اني شبعت وقد نهى الرسول(صلى الله عليه وآله) عن الأكل على الشبع(٥).

وبعد ذلك سئل من العالم عن سبب ما فعل؟

---

٤ - كتب المنصور إلى جعفر بن محمد (عليهما السلام) لم لا تغشانا كما يغشانا سائر الناس؟ فأجابه (عليه السلام) : ليس لنا ما نخافك من أجله، ولا عندك من الآخرة ما نرجوك له، ولا أنت في نعمة فنهنّيك ولا تراها نقمة فنعزيك بها، فما نصنع عندك؟ قال : فكتب إليه : تصحبنا لتنصحنا. فأجابه (عليه السلام) : من أراد الدنيا لا ينصحك، ومن أراد الآخرة لا يصحبك. فقال المنصور : والله لقد ميّز عندي منازل الناس من يريد الدنيا ممّن يريد الآخرة وانه (عليه السلام) ممّن يريد الآخرة لا الدنيا. مستدرك الوسائل : ١٣ / ١٢٨ ب ٢٧ ح ١٤٩٧٩.

٥ - وسائل الشيعة : ١ / ٣٩٩ ب ٤٠ ح ٤.

قال: عرفت ان مقصود الملك من أكله من طعامي هو إجباري على أن آكل من طعامه ولذا إستعجلت في الأكل ولما ان أكلَ من طعامي، جمعت المنديل ليعرف اني أنهيت الأكل فلا يبقى له محل في الإصرار على ان آكل من طعامه، علماً بان الأكل من طعام الخلفاء والملوك - عادة - يقسي القلب وينسي الآخرة ويجرّ الإنسان الى المداهنة والغض عن ظلمهم على العباد والبلاد.

مع صاحب الفصول

يقال: انّ (فتح علي شاه) الملك الإيراني رغب في أن يزوج ابنته من العالم الجليل صاحب الفصول (قدس سره) ، فأبى صاحب الفصول ذلك.

فقيل له: لم رغبت عن مصاهرة الملك، مع ان الملك مسلم، ملتزم بأحكام الدين، ومعلوم ما يناله صهر الملك من العزّ والشأن، وأنت بأشدّ حالة من الفقر.

قال: لانّ مواصلة الملوك تدخل الإنسان في الدنيا، وتبعّده عن الآخرة، ولا حاجة لي في عزّ وغنى يبعّدني عن الآخرة.

المحدث القمي في سوريا

المرحوم الحاج الشيخ عباس القمّي (قدس سره) صاحب كتاب مفاتيح الجنان، والتأليفات الكثيرة المفيدة، سافر مع جماعة من التجار إلى سوريا.

قالوا: انّه بإستثناء الصلاة والزيارة كان يكبّ على التأليف والمطالعة، وحين كنّا نخرج للتنزه والإصطياف كنا نصرّ عليه على المرافقة معنا، فكان يأبى.

وكذا كان يسهر الليل حين كنّا ننام، وهو يطالع ويؤلف.

نعم لو كان ينام كثيراً ويتنزّه طويلاً، لما استطاع ان يؤلف ما يؤلف من الكتب المفيدة والممتعة مثل سفينة البحار وغيرها.

صاحب الجواهر وجواهره

قالوا: ان صاحب الجواهر كان قد أخذ عهداً على نفسه ان يكتب كل ليلة مقداراً من الجواهر، وفي ذات ليلة مات ولد له، قالوا: فأخذ القلم والقرطاس، وهو باك العين محترق القلب، فجاء وجلس عند جثمان ولده، وأخذ يكتب وفاءاً بعهده.

وهكذا استطاع صاحب الجواهر بصبره وتجلده وثباته واستقامته ان يخلد كتاب الجواهر للحوزات الدينية

والمجامع العلمية.

نوم العلماء

يقال: انّ واحداً من أولاد العلماء جاء بفراش النوم، وأراد أن ينام، فقال له والده - وكان حينذاك مشغولاً بالكتابة-: ليس هكذا النوم يا بنيّ.

فقال الولد: فكيف إذن هو يا أبة؟

فأجابه الوالد: أنظر يا بني.. ثم وضع القلم من يده وأغفى وهو جالس مقداراً قليلاً، ثم استيقظ وقال: يلزم أن يكون نوم العالم هكذا.

نعم انّ العلم لا ينال بالنوم والكسل، فإنّ من طلب العلى سهر اللّيالي.

بين العلم والزيارة

كان أحد العلماء في النجف الأشرف لاشتغاله بالدرس والبحث لا يكثر السفر إلى كربلاء المقدّسة وزيارة الإمام الحسين (عليه السلام)، فقيل له في ذلك؟

فأجاب قائلاً: لأني أرى أن وظيفتي الدرس والبحث والتعليم والتعلّم في هذه الظروف العصيبة، فإذا ذهبت إلى كربلاء المقدسة للزيارة أخشى أن يقال لي: لماذا تركت في هذه الظروف القاسية واجبك الملقى على عاتقك وأهملت ترويج العلم ونشر الدين وذهبت إلى الزيارة؟

نعم لكل ظرف من الزمان حكمه الخاص به، والعالم النبيه هو من يستطيع معرفة الزمان ومعرفة ما يتطلبه منه وإلا فثواب الزيارة لا يخفى على أحد.

في طريق الزيارة

قيل: انّ واحداً من العلماء الأعلام كان إذا سافر من النجف الأشرف إلى كربلاء المقدّسة للزيارة، صلّى جمعاً(٦) فسئل منه عن ذلك؟

فأجاب قائلاً: أرى ان الإسلام والمسلمين قد تعرّضوا للغزو والتشويه، ولا يستطيع الوقوف أمام هذا التيار الجارف وردّه إلا العلماء عن طريق نشر العلم، فيكون هذا الأمر واجباً عينياً، بينما الزيارة أمر مستحب، ولذلك

---

٦ - أي كان يجمع بين القصر والتمام.

في الزيارة أصلّي جمعاً رعاية للاحتياط.

البحث والمدارسة دائماً

كان الحاج آقا حسين القمي (قدس سره) المرجع المعروف، من دأبه أنه إذا سافر إلى مكان اصطحب معه أصحاب بحثه الخاص، ليشتغل معهم بالبحث طيلة الطريق والسفر.

وقد شاهدته مراراً كذلك.

وكان يقول: كيف آكل من السهم الشريف، سهم الإمام (عليه السلام) الذي هو للمشتغل، وأنا عاطل عن البحث والمدارسة ولو في الطريق؟

مع صاحب مستدرك البحار

إتّفق عدّة من رجال الدين على السفر إلى سامراء والتشرّف بزيارة الإمامين العسكريين (عليهما السلام)، وكان الوقت صيفاً والهواء حاراً، ولذلك كانوا يصطافون ليلاً على شواطئ دجلة وينامون هناك على مشارف سامراء.

وكان من بينهم المرحوم الشيخ ميرزا محمد الطهراني، صاحب مستدرك البحار وكان يشتغل بكتابة مستدركه طيلة الليل، فكان هو الوحيد من بينهم الذي لا ينام، حتى انه كلما انتبه أحد منهم رآه مشتغلاً بالكتابة والتأليف مع انه كان قد كبر سنّه وضعف جسمه وبصره، لكنه مع ذلك كان يجتهد ويتعب نفسه في إنجاز تأليفه .

مثال الزهد والتقوى

نقل لي ابن العم: السيد ميرزا أبو القاسم الشيرازي(قدس سره): أنهم أيام تواجدهم للدراسة في سامراء، كانوا يذهبون في أيام الربيع خارج المدينة للاصطياف والنزهة، حيث إن أمطار الربيع كانت تملأ الصحراء بالأوراد والزهور وكان لها أبهج المناظر، وأحسن الروائح والعطور.

قال: وكنّا نصرّ على والدك: سماحة السيّد ميرزا مهدي (قدس سره) في أن يصحبنا إلى خارج المدينة للإرتياح، لكنه كان يأبى ويتعلّل بالدرس والبحث.

حتى إذا كان يوم جمعة، قلنا له: لابدّ أن تخرج معنا فإنه لا درس في هذا اليوم.

قال: إن لم يكن عندي درس فعندي مطالعة وتحضير.

قلنا: يمكن لك أن تطالع في الصحراء حيث المنتزه؟

قال: وعندي برنامج حفظ القرآن الحكيم.

قلنا: ويمكن أيضاً أن تحفظ هناك.

قال: لكني في عصر الجمعة أريد زيارة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) في السرداب المقدّس.

وهنا قال ابن العم: فثارت حفيظتي وقلت له: إذن قل من أوّل الأمر: اني لا أريد الخروج معكم.

العلم والعمل

لقد كان الوالد(قدس سره) يحثّني كثيراً على المطالعة ومواصلة الدراسة، وكان يقول لي عن نفسه: انه كان إبان اشتغاله بالدرس لا ينام في الليل والنهار إلا ما يقارب الساعتين فقط، وكان إلى جانب الدرس يحفظ القرآن عن ظهر الغيب، وكان قد خصص وقتاً لذلك في الليل وعلى ضوء القمر، حيث لم يكن آنذاك برق وكانت أمورهم عسرة لا تسمح لهم بتوفير سراج للمطالعة في ضوئه، وكان في النهار مشتغلاً بالدرس والبحث ولذلك كان لا يتمكّن من حفظ القرآن إلا ليلاً، وكان(قدس سره) يقول: انه قد أخذ عهداً على نفسه منذ أوائل بلوغه أن يجتنب بتوفيق من اللّه تعالى كل التي يمكن أن يبتلى بها طالب العلم، من حب الصدارة في المجالس، وحبّ الغلبة على المباحث في أثناء البحث، وحب الجاه والمقام، وبيع الآخرة بالدنيا وما أشبه ذلك، وقد رأيته بنفسي انه(قدس سره) كان ملتزماً بعهده، موفياً لوعده، إلى آخر عمره.

وقد صادف ذات مرّة أن كنت بخدمته وذلك حين رجوعه من النجف الأشرف إلى كربلاء المقدسة وبعد أن زرنا الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في إحدى المناسبات الخاصة بزيارته (عليه السلام)، إذ توقفت السيارة في الطريق قرب النخيلة لنفاد وقودها، فأخذ الوالد(قدس سره) يتمشى ويتلو القرآن عن ظهر الغيب حفظاً - حيث كان حافظاً له - واستمر إلى الفجر على عمله ذلك، ولما سألته عن المقدار الذي قرأه من القرآن، قال: ثمانية أجزاء.

وقد كان(قدس سره) ملتزماً بعدم النوم بين الطلوعين، وكان يتلو كل يوم بعد صلاة الصبح جزءاً من القرآن الكريم، بالإضافة إلى الأدعية اليوميّة المأثورة.

وكانت من سيرته: أن ينقل صلاة جماعته في أيّام الزيارة - حيث يتوافد الزوّار على كربلاء المقدّسة - من الصحن الشريف إلى المسجد أو الحسينية، وكان يقول: لا أحب أن أزاحم الزائرين.

وكان في أوائل إمامته للجماعة يصلّي صلاة الصبح في الحرم الحسيني (عليه السلام) وراء الضريح المقدّس، ثم نقل جماعته من ذلك المكان الطاهر حتى لا يسبّب مزاحمة الزائرين.

وكان(قدس سره) قد فتح لنفسه حساباً خاصاً مع الإمام المهدي (عجّل اللّه تعالى فرجه الشريف) حتى انه كان لا يغيب عن ذهنه، ولا يغفل عن ذكره، وكان يذهب عصر كلّ يوم جمعة، إلى مكان خلوة من سطح أو نحوه، ويتوجّه إلى الإمام (عليه السلام) بقلبه، ويناجيه بسره، ويتوسّل إلى اللّه تعالى بتعجيل فرجه، وتسهيل ظهوره، ويقرأ الأدعية الواردة في ذلك.

وكان(قدس سره) حليماً صبوراً على أذى الناس، ويعفو عنهم. ففي ذات مرّة كتب إليه شخص كتاباً ذكر فيه شتائم كثيرة، وكان قد صَدَّرهُ بكلمة قاسية جدّاً، فامتقع لونه من مطالعته، لكنه أجرى الحوقلة على لسانه وسرى عنه.

حياة كحياة الأنبياء (عليهم السلام)

قيل: انه لما اشتهر الشيخ الأنصاري (قدس سره) بالمرجعية وعلا صيته في الآفاق، أرسل الخليفة العثماني آنذاك مبعوثاً إلى النجف الأشرف ليرى الشيخ من قريب، فلمّا جاء ودخل على الشيخ في داره، رأى ما أثار تعجّبه وغرابته، رأى داراً عادية وبسيطة، ورأى الشيخ جالساً في غرفة متواضعة قد فرش بعضها ببساط عادي، وعليه عمامة وعباءة وقباء مادون المتوسّط، وبين يديه كتب كثيرة وهو مشغول بها.

فلمّا دخل ورآه الشيخ، قام إليه واستقبله وأجلسه على البساط، ثم جلس إليه يحدثه وسأل عن صحّته، ثم قام وجعل قليلاً من الدبس في إناء من خزف وصبّ عليه الماء وقدّمه للمبعوث، وبعد أن شرب، قال له الشيخ معتذراً: لقد حان وقت الدرس وان الطلاب في انتظاري وأنا عازم - مع إذنكم - على أن أذهب إليهم، فقام المبعوث وودّع الشيخ وخرج.

ولما رجع المبعوث إلى الخليفة ونقل له ما رآه من الشيخ، قال الخليفة: وجدته كما يحكى عن رسول اللّه(صلى الله عليه وآله). يقصد بذلك ما عند الشيخ من الزهد في الدنيا والبساطة في العيش.

من حياة المرجعية

نقل لي أحد العلماء: انه كانت له عمّة، لها مزاورة مع أسرة الشيخ الأنصاري(قدس سره) وعائلته، فحكت لي ذات مرة وهي تقول: كنت أختلف إلى دار الشيخ الأنصاري(قدس سره) لمعرفة لي مع زوجته، ففي ذات يوم لما جاءت ابنة الشيخ من الدرس إلى الدار أخذت تشتكي إلى أمّها قائلة: ان زميلاتي في الدرس يأتين كل يوم بمختلف الأطعمة وأنواعها، وأنا أذهب كل يوم بخبز ولبن، فلقد عجزت عن أكل لون واحد من الطعام في كل يوم.

قالت: ثم جاء الشيخ، فنقلت الأم إلى الأب كل كلام البنت وانتظرت جوابه.

فقال الشيخ بأنها تصدق لابدّ من التنويع، فأعطيها في يوم خبزاً فقط، وفي يوم خبزاً ولبناً وهكذا، حتى تشتهي ذلك، ولا تملّ من أكل لون واحد من الطعام كلّ يوم.

نعم هكذا يروّض المرجع الإلهي نفسه وعائلته على الزهد والتقشف، حتى لا ينزلق في المغريات وزخارف الدنيا الفانية.

من مواقف المرجعية

يقال: ان البهلوي الثاني جاء بعد سفرة له إلى الهند، إلى قم المقدسة وأراد أن يلتقي بمرجع عصره السيد البروجردي الحاج آقا حسين (قدس سره)، وكان يتم اللقاء بينهم في كل مرة في حرم السيدة فاطمة المعصومة (عليها السلام).

لكن السيد(قدس سره) أبى في هذه المرة عن الاجتماع به في حرم السيدة المعصومة (عليها السلام) - كالمرات السابقة - فجاء وسائط الشاه وأصروا على إقناع السيّد بأن يكون اللقاء في الحرم كما كان عليه سابقاً، فلم يتمكّنوا من إقناعه، وأخيراً قالوا له: نقول للشاه ان السيد مريض، ولا يتمكّن من الخروج إلى الحرم، فيزورك الشاه في دارك، وقد كان الشاه مصرّاً على زيارته.

فلم يقبل السيّد وقال مغضباً: كيف أجتمع بمن يدعي الشاهنشاهية على بلد إسلامي وشعب مسلم، ثمّ يذهب إلى الهند، ويُركِب زوجته وهي سافرة على الفيل يطوف بها في البلاد على أعين الناس بما يوجب خزي المسلمين وذلّهم؟ ورفض بكل صلابة اللقاء به تأديباً له، وهكذا استطاع السيّد بموقفه الصلب من أن يصدّ الشاه عن ارتكاب مثل هذه الموبقات والفضائح.

المرجعية قوّة عظمى

قالوا: ان البهلوي الثاني كان ينوي إجراء بعض القوانين غير الإسلامية في إيران، لكن السيد البروجردي (قدس سره) وقف صامداً ضد نواياه الشريرة، فأرسل الشاه رئيس وزرائه لكسب رضا السيّد.

فقال فيما قال له، وهو يتكلّم عن لسان الشاه : فإنّ هذه القوانين قد أجريت في البلاد المجاورة ونحن مجبرون على إجرائها.

فقال السيّد: قولوا للشاه: لكن تلك البلاد قد تبدّل نظام الحكم فيها من الملكيّة إلى الجمهوريّة، ثم أجريت القوانين، فألقم الوزير حجراً ولم يتمكّن أن يتكلّم بعدها بشيء، لأنّ هذا كان أكبر تهديد للملك، ولم يتمكّن الشاه من إجراء تلك القوانين غير الإسلامية في إيران مادام كان السيّد البروجردي (قدس سره) حيّاً.

من كياسة المرجعيّة الشيعيّة

قيل: ان البهلوي الثاني أصرّ ذات مرّة على إجراء قانون التساوي بين الذكر والأنثى في كل شيء، وهو قانون مخالف للقرآن، فصمد السيّد البروجردي (قدس سره) في قبال ذلك واعترض على القانون وأعلن خلافه له بكلّ قوّة.

فأرسل الشاه إلى السيّد من يستميله ويسترضيه، فجاء إليه ودارت بينهما مباحثات حادة، لكن أحدهما لم يتغلب على الآخر ولم يستطع استمالته واسترضاءه، وأخيراً قرّر الشاه إجراء القانون متحدّياً كلّ الضغوطات والاعتراضات الموجودة والتي ستوجد ضدّه، ولكن فور ما علم السيد البروجردي (قدس سره) بذلك، أعلن عن عزمه على مغادرة إيران، وأمر بجمع أثاثه وشدّ رحاله، ولما عرف الشاه ذلك انصرف عن عزمه، لأنه كان يعرف جيّداً انّ معنى هذه الهجرة إيجاد ثورة عارمة عليه، لا يُحمد عقباها.

المراجع والأنظمة العسكرية

جاء عبد السلام عارف رئيس الجمهورية العراقية الذي قفز إلى الرئاسة عبر إنقلاب عسكري إلى كربلاء المقدّسة وكان من عزمه أن يلتقي بالسيّد الحكيم (قدس سره) ، لكن السيد أبى عن استقباله، وعلّق ذلك على استجابته لشرط واحد وهو: أن يعلن في بيان رسمي عبر الإذاعة - وقبل حصول اللّقاء - عن إلغاء كل القوانين المخالفة للإسلام مثل قانون الأحوال الشخصيّة، وقوانين الإشتراكية، وقانون التأميم وما أشبه ذلك.

لكن الرئيس المغرور، الذي جاء إلى الرئاسة على عجلة الدبابات، وزئير قاذفات الصواريخ، ولهيب نيران الرصاص، وبإنقلاب عسكري، بلا موازين صحيحة، ولا مقاييس دولية معترف بها، كان أبعد من أن يعرف مقادير الرجال، ومن أن يضع الأمور في مواضعها، ولذلك بقي وهو يصرّ على عدم الإجابة، وحرم نفسه من

الإلتقاء بالسيّد وكان ذلك قبل احتراقه في الطائرة بما يقارب الشهر، كما لم يجتمع به أحد من علماء كربلاء المقدّسة مع أنهم كانوا قد دعوا للالتقاء به في روضة الإمام الحسين (عليه السلام) المباركة، وكان لهذا الرفض المجمع عليه من قبل العلماء الأثر الكبير في ابتعاد الناس عنه.

المرجعية ومواقفها المشرّفة

أول يد معتدية إمتدّت لخرق القانون الشرعي والعرفي السائد وفتحت ثغرة الإنقلابات العسكرية في العراق، هي يد عبد الكريم قاسم، لذلك لم يستجب السيّد الوالد ولا السيّد الحكيم (قدس سرهما) لطلبه اللقاء بهم حينما أراد أن يزور كربلاء المقدّسة والنجف الأشرف، واشترطوا عليه مقدمة لزيارته لهما أن يغيّر ما جاء به من القوانين المخالفة للإسلام، والتي من أهمّها إلغاء قانون الاعتراف بالحزب الشيوعي وإلغاء قانون الإصلاح الزراعي المزعوم، وإلغاء قانون الأحوال الشخصية.

لكنه على أثر ما أصابه من غرور، وسكرة المقام والملك، وعدم تقديره موقف مراجع الدين، أصرّ على عدم إجابته لهم، وأصرّوا هم أيضاً على عدم استقباله، فلم يتمّ اللقاء، ولم يمض على الحادث أكثر من ستّة أشهر إلا وقد قامت الثورة ضده مما أودى بحكومته وحياته، وهذا مصير كل من يستهين بالحوزات الشيعيّة، ولم يعبأ بمطاليبهم الشرعية، ولم ير مالها من المنزلة المرموقة في قلوب الجماهير.

المرجعية رأفة ورحمة

كان السيّد الوالد(قدس سره) إبان سيطرة الشيوعيين على العراق واشتغالهم بالنهب والهتك وسفك الدماء البريئة - يقول: ان دم البريء لغم موقوت يتفجر فيدك عروش الظالمين، ويزيل حكمهم وملكهم، واني أتمنّى أن لو كنت أقدر على أن أكف القتل عن الجميع وأكون أنا المقتول على أيديهم مكان من قتلوا فيحدث قتلي ضجة في الأوساط ويكون ذلك سبباً لزوال سيطرتهم وخلاص الشعب العراقي المسلم من ظلمهم، وكان يحز ذلك في قلبه إلى أن استطاع على عقد الإتّفاق مع علماء النجف الأشرف في النهوض ضد الشيوعيين، وقد توفقوا للقضاء عليهم بإذن اللّه تعالى، فزال عن صدر العراق المسلم كابوسهم المرعب، والحمد للّه ربّ العالمين.

المراجع مثال الأخلاق والفضيلة

من المعروف : انه لما توفي صاحب الجواهر(قدس سره) انتقلت الرئاسة العامة بعده إلى الشيخ الأنصاري (قدس سره) وكان الشيخ الأنصاري (قدس سره) يسلك سلوك الزهد في الدنيا، بينما كان صاحب الجواهر(قدس سره) يسلك سلوك الرؤساء والملوك.

فجاء شخص إلى الشيخ الأنصاري (قدس سره) وقال: أيّها الشيخ إن كان مسلككم حقّاً، فإنّ صاحب الجواهر على باطل، وإن كان مسلك صاحب الجواهر حقاً، فإنّ مسلككم على باطل، فأيّهما حقّ وأيهما باطل؟

أجاب الشيخ قائلاً: ليس الأمر كما زعمت محصوراً في الشقّين، بل هناك شقّ ثالث: وهو انه يمكن أن يكون

كلاهما حقّاً، فصاحب الجواهر كان يعكس بسلوكه عظمة الإسلام وشوكته، وأنا أعكس بسلوكي زهد الإسلام ويسره، وحيث انّ للإسلام جوانب متعدّدة، كان كل واحد منّا يسلك جانباً منه.

ثم انه بعد أن نقل لي أحد الأعلام هذه القصّة الموحية أردفِ قائلاً: انّ الأمر كما قال الشيخ، والدليل على ذلك: ما روي انّ شخصاً جاء إلى دار الإمام الحسن (عليه السلام) فرآها غاصّة بالضيوف وهم على موائد وفيها ألوان الأطعمة، ثم ذهب إلى دار الإمام الحسين (عليه السلام) فرآه وأصحابه صائمين يتلون القرآن، فسئل من الإمام الحسين (عليه السلام) عن سبب اختلافه مع أخيه الإمام الحسن (عليه السلام) في أسلوبه؟ فأجاب(عليه السلام) بما مضمونه: انّ أخي الإمام الحسن أخذ بالجانب الاجتماعي في الدين، وإنّما أخذت بالجانب العبادي في الدين.

المكافأة على الأعمال

قال لي أحد أعلام قم المشرّفة: انه على إثر اشاعة البهلوي الفحشاء في العاصمة طهران، ترك السفر إليها طويلاً، فلم يذهب إلى طهران مدة اثنتي عشرة سنة.

قال: ثم صارت لي حاجة في طهران فسافرت إليها اضطراراً، وفي يوم من الأيام وأنا ذاهب إلى حاجتي في أحد شوارع طهران رأيت ما أهمنّي فإنّ (البهلوي الأول) كان قد حكم برفع الحجاب عن النساء حكماً جبريّاً، وفرض عقوبات صارمة على المتحجّبات، وكان عمّال الشاه يطبّقونه بكلّ عنف، فرأيت امرأة محجبّة كانت قد خرجت بالعباءة لبعض حوائجها، وإذا بأحد عمّال الشاه أخذ يلاحقها، فلمّا وصل إليها صفعها صفعة شديدة على رأسها.

قال: فدهشت لهذه الحالة المؤلمة وصُعقت من هذا العمل القاسي وأخذت أجود بنفسي من وقع الحادث الأليم، وأفكّر كيف ينتقم اللّه من هذا الظالم، وبينا أنا كذلك وإذا بسيارة تقف بالقرب من الحادث وينزل منها السيّد أبو القاسم الكاشاني(قدس سره) ويصفع الموظّف صفعة شديدة على رأسه ثم يركب عربته ويذهب، وذهل الموظّف عندما رأى السيّد الكاشاني هو الذي صفعه، ولم يستطع أن يتكلّم بشطر كلمة.

قال: ففرحت بذلك فرحاً شديداً وشكرت اللّه تعالى على أن أراني كيف جعل الدنيا تكافيء الناس على أعمالهم، ولعذاب الآخرة أخزى وأشدّ، ثم غادرت طهران راجعاً إلى قم المقدّسة.

من آثار الرفق

كان للميرزا الشيرازي الكبير(قدس سره) صاحب قصّة التنباك تلاميذ كثيرون، ومن جملة أولئك كان هو الشيخ حسن الأصفهاني(قدس سره) المستوطن مدينة مشهد المقدّسة، وكان رجلاً عظيماً، له ختومات، وأدعية وأوراد يومية، وممّا ينقل عنه هو:

انه كان ذات مرة وهو في طريقه من الكوفة إلى النجف الأشرف، وإذا باللصوص يجتمعون عليه ويأمرونه بأن يتجرّد من ثيابه ويسلمها مع ما فيها إليهم، وفعل الشيخ ذلك حيث تجرّد من ملابسه بإستثناء الإزار، ثم سلمها إليهم قائلاً: قد وهبتها لكم حتّى لاتقعوا في معصية اللّه من أجل غصب ملابسي.

وإذا بهذا الكلام يفعل كالمعجزة في اللصوص، حيث يحصل فيهم ردّ فعل داخلي يقودهم إلى الإنتباه والإرتداع، وإذا بهم لا يأخذون الثياب، ويتوبون على يديه قائلين: انه ليس من الحقّ عصيان اللّه تعالى بالسرقة، بعد أن نرى منك مثل هذه الشفقة علينا، وبالفعل فقد تابوا وصار أمرهم إلى خير، وهكذا يفعل الرفق بالنفوس.

الزهد مرقاة الكمال

من المتعارف أن يكون لمن يبدأ بالدراسة زملاء في الدرس يرتقون معاً مدارج التقدّم، وقد يتّفق لأحدهم سبق الجميع، كما اتّفق ذلك للشيخ الأنصاري(قدس سره) مع زملائه في الدراسة، فقد كان له زميل ملازم له، لكنه لم يتوفّق لما وفق له الشيخ، وذلك لأن الشيخ توفق لأن يبقى في النجف الأشرف، حتى استطاع أن يصل إلى ما وصل إليه، بينما سافر زميله ذلك إلى بلده، وعاد إبان رئاسة الشيخ إلى النجف الأشرف للزيارة والإلتقاء بالشيخ.

فلمّا رأى عظمة الشيخ قال له متسائلاً: شيخنا لقد كنّا زميلين في الدرس فكيف وصلت أنت إلى ما وصلت إليه اليوم، وبقيت أنا على ما كنت عليه في السابق.

أجابه الشيخ وهو يشير إلى قضيّة كانت بينهما قائلاً: لأنّي تركتُ أكل الدبس وأنت أقدمت عليه.

وكانت تلك القضية التي اتّفقت لهما في أيام الدراسة هو أنهما قصدا ذات مرّة مسجد الكوفة وهناك صار وقت الغداء، وأرادا تهيئة الطعام لهما، فلم يجدا عندهما إلا فلساً واحداً وكان رغيف الخبز بفلس واحد آنذاك، وذهب الزميل ليشتري به رغيف خبز يأكلانه معاً، لكنه عاد وقد اشترى خبزاً وشيئاً من الدبس على الخبز.

فقال له الشيخ متعجّباً: بكم اشتريتهما؟

قال: بفلسين.

قال الشيخ: ومن أين لك الفلس الثاني؟

قال: اشتريت الخبز نقداً والدبس دَيْناً.

فقال الشيخ: أما أنا فلا آكل من الدبس شيئاً، لأني لا أعلم هل أتمكّن من قضاء هذا الدين أم لا؟

فضحك الزميل وقال: وأمّا أنا فآكله وحدي وعليّ قضاؤه، فأكل هو ولم يأكل الشيخ إلا أطراف الخبز...

نعم الزهد في الدنيا من مأكل ومشرب وملبس وغير ذلك هو الذي ارتقى بالشيخ الأنصاري(قدس سره) إلى ما ارتقى إليه، بينما عدم الزهد يضع زميله على ما كان عليه، ولعلّ الشيخ أراد بإشارته إلى تلك القضية الفات الزميل إلى حقيقة من حقائق الحياة، وإعلامه ومن بلغته القصّة: بأنّ اللازم على طالب العلم أن يزهد في الدنيا ويحتاط فيما يرتبط بها هذا المقدار من الاحتياط حتّى يصل إلى مرتبة من العلى.

٣٧

المرجع والمرجعيّة

المرجعية عبء ثقيل، ومن شروطها حسب ما دلت عليه التجارب أربعة، فلابدّ للمرجع من التحلي بها وتوفيرها في نفسه وهي:

١ - أن لا يتوقع من الناس شيئاً.

٢ - أن يستعدّ لتلبية كل توقع من كل أحد حسب تمكّنه.

٣ - أن لا يسيء إلى أحد ولو بشطر كلمة.

٤ - أن يستعدّ لتقبّل كلّ إساءة.

لكن كل ذلك في الأمور التي لا ترتبط بالدين، وإلا فاشتراء سخط اللّه تبارك وتعالى برضا المخلوقين يوجب خسران الدارين، أعاذنا اللّه تعالى من ذلك.

المخالف لهواه

قيل: انّ رجلاً رأى إبليس في المنام، وهو مغضب، وفي يديه مجموعة حبال غلاظ ورقاق، وسلاسل مختلفة، من بينها سلسلة غليظة قد تقطّعت في سبعة مواضع منها، فسأله عن الحبال والسلاسل التي يحملها في يديه، وعن السلسلة المتقطّعة ما هي، وما هو سبب تقطيعها؟

فقال إبليس: الحبال والسلاسل آلاتي ووسائلي أغلّ بها الناس وأسحبهم إليّ.

فقال الرجل: اني أراك غضبان فما هو سبب غضبك؟

فقال ابليس: أردت في هذه الليلة أن أغلّ الشيخ الأنصاري بأعظم ما عندي من السلاسل وأسحبه إليّ، غير اني لم أقدر عليه، وكلّ مرّة حاولت ذلك قطع السلسلة وإنفلت من شباكي، فكرّرت العملية إلى سبع مرّات، حتّى يئست منه ورجعت خائباً خاسراً، وهذه السلسلة التي تراها مقطوعة هي التي كنت قد أعددتها لأسحب بها الشيخ إليّ، وانّ ما ترى عليّ من غضب فهو من ذلك.

قال له الرجل حينئذ: وهل لك أن تريني السلسلة أو الحبل الذي تغلّني به لتسحبني بواسطته إليك؟

قال له إبليس: شامتاً: انّ أمثالك يأتون نحوي بمجرّد إشارة منّي إليهم، ولا يحتاجون إلى الحبل فكيف بالسلسلة؟

فانتبه الرجل من نومه مذعوراً وذهب إلى الشيخ الأنصاري ونقل له الرؤيا.

فلما سمع الشيخ ذلك استوى جالساً وأخذ يحمد اللّه تعالى على سلامته من مكائد إبليس ووساوسه، وقال:

نعم لقد أصيبت زوجتي في الليلة البارحة بحالة الطلق والولادة واحتجتُ إلى مال أتمكّن من أن أشتري به ما تحتاج إليه المرأة في هذه الحالة، فلم يكن عندي شيء سوى وديعة استودعها عندي بعض المؤمنين كأمانة، ففكّرت في نفسي وقلت: انّ صاحبها يرضى بأن أتصرّف فيها وخاصّة في مثل هذا الوقت الذي أنا بأشدّ الحاجة إليها، ثمّ إذا وسّع اللّه تعالى عليّ أرجعتها مكانها، فذهبت إلى الرف الموجود فيه الأمانة لأخذها، لكنّي احتطت ورجعت، وهكذا إلى سبع مرات، حتى عزمت على عدم الأخذ، وبالفعل تركتها ولم آخذ منها شيئاً، وسهّل اللّه الأمر على زوجتي ووضعت بسلامة، ولعلّ هذا هو تفسير الرؤيا التي رأيتها.

نعم هكذا يحاول إبليس أن ينفذ إلى القلوب ويوسوس فيها، غير انّ أولياء اللّه قد عرفوا ذلك، فقاموا بتأييد من اللّه تعالى بسدّ الطريق عليه، ليكونوا مصداقاً للحديث الشريف: (من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً على هواه، مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلّدوه)(٧).

أزهد علماء البلد

يذكر ان أحد الخلفاء قال لوزيره ذات ليلة: يا ترى من هو أزهد العلماء في عصرنا هذا لنذهب إليه فينصحنا؟

قال الوزير: فلان وفلان، فمضيا حتّى وصلا إلى باب دار أحدهما، فطرق الوزير الباب، فجاء العالم خلف الباب وقال: من الطارق؟

قال الوزير: الخليفة بالباب.

قال العالم بكل حفاوة: اصبر حتى آتي بالمصباح، فلم يلبث إلا أن جاء بالمصباح وأقبل نحو الباب وفتحه، وأخذ يسلّم على الخليفة بإمرة المؤمنين ويقول: لماذا لم تبعث عليّ حتّى آتيك أنا بنفسي ولا تتحمّل تعب المجيء؟ ثم عرض عليهما الدخول، فأبى الخليفة من الدخول وودعه والوزير وانصرفا، فلما ابتعدا عنه، التفت الخليفة إلى الوزير وقال له: ما أردت مثل هذا.

فذهبا حتى أتيا باب دار العالم الثاني، فطرق الوزير الباب وانتظر فتحه، ولكن لم يُفتح عليهما، فسمعا صوت العالم وهو يتلو القرآن، وبعد عدّة طرقات، قال العالم وهو في مصلاّه: من بالباب؟

قال الوزير: انّه الخليفة، يريد زيارتك.

قال العالم بكل برودة: فليذهب الخليفة من حيث جاء فإنّي مشغول مع ملك الخليفة - يعني بالملك اللّه تعالى -.

وكلّما ألحّ الوزير على العالم بفتح الباب، أصرّ العالم على عدم الإجابة، حتّى اضطرّا إلى أن يجعلا سلّماً ويتسلّقا الجدار، ويدخلا عليه في مصلاّه.

فلما أحسّ العالم بذاك ورأى الخليفة والوزير عنده في مصلاّه، وقد مدّ الخليفة إليه يده للمصافحة، رأى العالم نفسه أمام الأمر الواقع، واضطرّ إلى أن لا يردّ يده إلا بما ينبّهه به، ويردّه عن غفلته، فلمّا استقرّت يد الخليفة في يد العالم، قال العالم: آه ما ألينها لنار جهنّم؟

---

٧ ـ وسائل الشيعة : ١٨ / ٩٤ ب ١٠ ح ٢٠.

فوقع الخليفة مغشياً عليه من البكاء، فلمّا أفاق جلس بين يدي العالم كالغلام، وطلب منه أن ينصحه، فنصحه العالم بالشفقة على الرعية والعدل فيهم والإحسان إليهم، ثمّ ودّعاه وقاما وخرجا، عند ذاك إلتفت الخليفة إلى وزيره وقال: لمثل هذا أردت، انه العالم حقاً.

الساعات الأخيرة

قيل لصاحب الفصول: إذا علمت انّ أجلك قد اقترب، ولم يبق من حياتك إلاّ ساعات قليلة، فماذا كنت تصنع فيها؟

إنه سؤال دقيق يرتبط بأمر مصيري بالنسبة إلى الإنسان، فإنّ آخر ساعات الحياة هي التي يتمكّن فيها الإنسان - بما يفعله من خير - أن يقرّر سعادته في تلك الدار الآخرة، فإنّ من إختتم عمره بعمل صالح ختم له بخير(٨)، وفي الدعاء: (واجعل أفضل أعمالنا عند اقتراب آجالنا) فما هو أفضل الأعمال حتّى يجعلها عالم جليل كصاحب الفصول خاتمة عمره؟ فهو إذن سؤال دقيق طرحه سائل ذكيّ على رجل خبير، فلننظر ما هو جوابه؟

إلتفت صاحب الفصول إلى السائل وقال: كنت أجلس على دكّة باب الدار لأقضي حوائج الناس، فلعلّ محتاجاً يأتي ويطلب منّي حاجة فأقضيها له، حتّى ولو كانت حاجته طلب إستخارة.

وهذا الجواب من هذا العالم الجليل يدلّ على أهميّة قضاء حوائج الناس وإيصال النفع إليهم، فإنّ خير الناس أنفعهم للناس(٩).

وهكذا أراد صاحب الفصول(قدس سره) في جوابه أن يكون خير الناس في عقباه، بإختتام عمره بخدمة الناس كما كان طيلة عمره في خدمتهم، ليعلمنا طريق السعادة ويرشدنا إلى ما فيه خير الدنيا والآخرة.

أنفع الأعمال

قال لي أحد الأخيار: انه رأى والدي السيّد ميرزا مهدي (قدس سره) في المنام بعد وفاته، وهو بحالة جيّدة يُغبط لها، قال: فدنوت منه وسلّمت عليه وسألته: ما كان أنفع الأعمال الدنيويّة التي وجدتم ثوابها هناك؟

قال: كان أنفع الأعمال بحالي هو: ما كنت أعطيه للفقراء الّذين يقصدونني إلى داري ويريدون منّي مبالغ قليلة يستعينون بها على أمورهم - كما هي عادة الفقراء - فإن إسعافهم في ذلك اليوم كان أنفع الأعمال بحالي هذا اليوم.

ولعلّه هذا إرشاد إلى ما جاء في الروايات من تحريض الناس على عدم ردّ الفقير، فقد ورد الخبر بعدم ردّ السائل ولو كان على ظهر فرس(١٠)، كما ورد الخبر بأنّ اللّه تبارك وتعالى خلق الجنّة لأناس وقفوا أنفسهم

---

٨ - راجع (من لا يحضره الفقيه) : ٤ / ١٨٢ باب ثواب من ختم له بخير من قول أو فعل.

٩ - مستدرك الوسائل : ١٢ / ٣٩١ ب ٢٢ ح ١٤٣٨٢.

١٠ - قال أبو جعفر (عليه السلام) : (اعط السائل ولو كان على ظهر فرس) وسائل الشيعة : ٦ / ٢٩٠ ب ٢٢

لخدمة الناس وإسعاف الفقراء والمساكين.

العطف على الحيوان

قال أحد العلماء: كنت أعيش أنا وعائلتي الثقيلة في غاية الفقر والمسكنة، وإتّفق أن وقع قحط في بعض السنين والأعوام، فأخذ أهلي وأطفالي يتضوّرون جوعاً، وصعب تحمّل الأمر عليّ غاية الصعوبة، فخرجت في طلب شيء أسدّ به رمق الأهل والأطفال، وبعد صعوبات كثيرة حصلت على ريّة شاة، فأخذتها فرحاً وفكرت في الرجوع بها إلى الدار، وفي الطريق وجدت كلبة قد أنهكها الضعف من شدّة الجوع، حتّى وقعت على الأرض وصارت بلاحراك، وحولها جراء لها هزال يمتصّون أثدائها الخالية، مما يزيد في ضعفها.

قال: فوقفت عليها ورق قلبي لها حتى نسيت ما كان من أمر أهلي وأطفالي، وأخذت ألقمها ما معي من ريّة الشاة حتّى أتيت على آخرها، ثم وقفت أنظر إليها، فأحسست بأنّها تقوّت بذلك، ثم هبّت قائمة متوجّهة إلى السماء، فعلمت بأنها تدعو لي وتشكرني على عملي، قال: ومن ذلك الحين أخذ الرزق يدرّ عليّ من كلّ مكان بلا حساب.

مع الملوك والرؤساء

كانت العادة في سابق الأيّام قد جرت على انّ ملوك المسلمين، إذا زار أحدهم العتبات المباركة في النجف الأشرف وكربلاء المقدّسة، زاره بعض العلماء في محلّ نزولهم، وحيث انّ الملوك كانوا يحتفظون بظواهر الإسلام لم يكن ذلك شيئاً للعلماء.

حتى زار (ناصر الدين شاه) النجف الأشرف، فزاره العلماء آنذاك في محل نزوله بإستثناء الميرزا المجدّد الحاج السيد محمد حسن الشيرازي(قدس سره)، وكلّما حاولت حاشية الشاه ترتيب ما يقنع الميرزا على زيارة الشاه، أو زيارة الشاه له، أبى ولم يقبل، وأخيراً قرّر أن يتزاور هو والشاه في الحرم الشريف بقصد نصيحة الشاه، ومنذ ذلك الحين جرت عادة العلماء بزيارة الملك في الحرم المطهّر دون الذهاب إلى محلّ نزولهم.

من أدب البحث العلمي

قيل: انّ علاّمة دهره، ونابغة عصره الشيخ البهائي(قدس سره) جاء بصحبة الملك الصفوي إلى النجف الأشرف، واتّفق أن اجتمع بالمقدّس الأردبيلي (قدس سره) وجرى بينهما بحث علمي بحضور من الملك، وبعد نقاش طويل أخيراً كان الغلب ظاهراً للشيخ البهائي (قدس سره) .

ولمّا انفضّ المجلس وأراد العلمان الافتراق، أخذ المقدّس الأردبيلي بيد الشيخ البهائي وإنتحى به ناحية البيت، وأورد على مطالبه بما بيّن له خطأه وسقم نظره، وذلك بكلّ قوّة ومتانة.

ح١.

عندها قال له الشيخ البهائي: فلماذا لم تبيّن هذه المطالب والإيرادات في المجلس وبحضور الملك؟

قال المقدّس الأردبيلي: لأنّك شيخ الإسلام في إيران وينظر إليك الملك نظر إكبار وعظمة، فإذا غلبتك أمامه، سقطت من عين الملك وذهب بهاؤك عنده، أمّا إذا غلبتني فإنّ ذلك موجب لعظمتك في عين الملك أكثر من ذي قبل، ممّا ينتهي بالأخرة إلى عزّة العلم وأهله وإجلال العلماء وإكرامهم، بينما لم يكن عليّ بأس، أن أغلب أمامه، فإنما أنا طالب من طلاّب النجف الأشرف، ورفعة مقامي العلمي وضعته لا تنتجان أمراً، ولذا لم أبيّن ما يرد على كلامك أمام الملك وإنّما بيّنت لك الآن المطلب لإظهار الحقّ.

نعم هكذا نفوس طيّبة وقلوب طاهرة تتأهّل لنصرة الإسلام ونشر التشيّع المذهب الحقّ، وتتشرف بزيارة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) ولقائه.

تفقّد أحوال المسلمين

كان من دأب الميرزا الكبير - وكذا يكون دأب العظماء - هو: أن يفحص ويسأل عن أحوال أهل البلاد ويتفقّد شؤونهم، فإذا جاءه أحد من بلد لا يعرفه سأله عن مختلف شؤون ذلك البلد، عن عدد نفوسهم، وعن كيفيّة اقتصادهم، وثقافتهم ومعاملة الحكومة معهم، وعدد المسلمين وغير المسلمين هناك، وإلى غير ذلك من الأسئلة؟

وفي ذات يوم جاءه جماعة من البلاد البعيدة، فأخذ على عادته يتفقّد أحوالهم، فلمّا وصل السؤال إلى كيفيّة اقتصادهم، قال أحدهم: إنّنا من الفقر بمكان حتّى لا يستطيع كلّ واحد منّا الانفراد بزوجة خاصة، فنحن - مثلاً - ثلاثة عشر رجلاً ولنا زوجة واحدة.

قال الميرزا مندهشاً: ماذا قلت؟

فأعاد الكلام عليه قائلاً: نحن ثلاثة عشر رجلاً ولنا زوجة واحدة مشتركة بيننا.

فتأثّر الميرزا تأثّراً كبيراً وقال لهم: ألم تعلموا أنّ المرأة لا يحقّ لها إلا زوج واحد؟

قالوا: لا.

قال: أليس عندكم عالم أو رجل دين يرشدكم؟

قالوا: لا.

عندها طلب الميرزا من بعضهم البقاء في سامرّاء لتحصيل العلم، وقال مشوّقاً لهم: أخبروا أهل بلدكم: بأنّ من يأتي إلى هذه البلاد لطلب العلم، فإنّي مستعدّ لبذل نفقاته.

أقول: لقد سنّ الميرزا بعمله هذا سنّة حسنة، فإنّ قسماً من طلبة العلوم الدينيّة في النجف الأشرف وكربلاء المقدّسة وقم المشرّفة حالياً من ذلك المكان، وحيث إنّ ذكر بلدهم قد يكون خدشاً لكرامتهم أمسكنا القلم عن بيانه.

من شؤون المرجعيّة

لقد كان من عادة علمائنا المراجع أن لا يقطعوا الحقوق الشهريّة عن الطلبة غير المجدين رجاء استقامتهم واجتهادهم، مقتدين في ذلك بالإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، حيث لم يقطع إعطاء الخوارج من بيت المال،

إلا حين حاربوا المسلمين وعاثوا في الأرض الفساد، وقد نفعه (عليه السلام) ذلك، بحفظ مثاليته، وبإتمام الحجّة على الخوارج، وبرجوع كثير منهم عن غيّه، وذلك لما شاهدوه من عدله وحسن تعامله، ونفع الحوزات أيضاً باستقامة كثير ممّن كانوا غير مجدين، ورجوعهم إلى الجدّ والاجتهاد وخدمة الإسلام والمسلمين.

كما انّه كان من عادة علمائنا المراجع أن لا ييأسوا كلّ اليأس عمّن انحرف عنهم، ولا يطمئنّوا كلّ الاطمئنان إلى من إنضمّ إليهم، وذلك اتّباعاً لما ورد عنهم (عليهم السلام): لولا تثقّ بأخيك كلّ الثقة، فإنّ صرعة الإسترسال لن تستقال(١١).

وقد أخذ الشاعر هذا المعنى ونظّمه في بيت فقال:

إحذر عدوّك مرّة***وإحذر صديقك ألف مرّة

ولما رأوه من عدم يأس الرسول(صلى الله عليه وآله) من المنحرفين في زمانه وقد إنخرط بعضهم بمرّ الزمان في سلك أقوى مؤيّديه وأعظم مناصريه.

مع المقدس الكاظمي

يذكر انّ المقدّس الكاظمي(قدس سره) صاحب الوسائل في الفقه، كان من الزهادة والورع بمكان، حتّى انه زاره من إيران بعض الشخصيات المرموقة في سفرة له إلى العراق في داره، فوجد الدار في غاية البساطة بادية عليها آثار القناعة والعزوب عن الدنيا، ووجد صاحب الدار في غاية العظمة بادية عليه آثار الزهد والورع.

وبعد أن جرى بينهما ما تعارف من التحيّة والترحاب، وتفقّد كلّ منهما أحوال صاحبه، وتزاورا، أطال الزائر جلوسه وهو لا يعلم بأنّ المقدّس قد أخرج زوجته وطفله الصغير إلى ساحة الدار تحت الشمس المحرقة في حرّ الظهيرة، ولذلك التفت المقدّس إلى زائره وقال: لو دار الأمر بين مستحب وحرام فما هو الأهم؟

أجاب الزائر: معلوم انّ الحرام هو الأهم، فإنّه يجب ترك المستحب حتّى لا يرتكب الحرام، ثمّ قال: وكيف؟

فأجابه المقدّس: هل تسمع صراخ طفل صغير؟

أنصت الزائر إليه ثمّ قال: نعم وما هو؟

قال المقدّس: انّه وزوجتي تصهرهما الشمس حيث لا ظلال لنا إلاّ هذا المكان وقد أخلياه لنا.

عندها عرف الزائر مغزى سؤال المقدّس فاعتذر من إطالة جلوسه وقام وإنصرف وهو معجب بزهد المقدّس وورعه.

ولمّا رجع الزائر إلى إيران، وزاره الملك، سأله: هل أتيت من العراق بهديّة؟

قال: نعم وأعظم الهدايا، ثمّ ذكر للملك ما شاهده من المقدّس الكاظمي من زهد وورع، فتأثّر الملك بذلك تأثّراً كبيراً وأمر بمال كثير للمقدّس الكاظمي، فجيء بالمال مع مبعوثين من قبل الملك إلى الكاظميّة، ولمّا وصل مبعوث الملك إلى الكاظمية زارهما الأعيان والأشراف بإستثناء المقدّس الكاظمي، فكلّما ألِحّ عليه بأن يزورهما لم يقبل، حتّى اضطرّا - مبعوثا الملك - أن يزوراه بأنفسهما، فأقبلا إلى دار المقدّس وزاراه بأنفسهما، وقصّا عليه قصّتيهما وإرسال الملك المال معهما إليه على أثر ما جرى بين المقدّس الكاظمي وبين زائره، حيث قد قصّ

---

١١ - وسائل الشيعة : ٨ / ٥٠١ ب ١٠٢ ح ١.

الزائر ذلك على الملك وأطلعه عليه.

فلمّا سمع المقدّس الكاظمي مقالتهما أجهش بالبكاء وإعتذر من قبول المال المبعوث إليه وأصرّ على ذلك حتّى يأس مبعوثا الملك من قبوله وأرجعا المال إلى إيران.

وبعد ذلك قيل للمقدّس الكاظمي: ممّ كان بكاؤك؟

قال: من جهة علمي بأنّ ماجرى بيني وبين زائري قد صار سبباً لأن يذكر اسمي في ديوان الظالمين.

بين أشياء ثلاثة

قيل: ان الشيخ الأنصاري(قدس سره) كان يقول: ثلاثة أشياء ينبغي للإنسان وخاصّة رجال الدين الاهتمام بها، وذلك بأن يأخذ أولها ولو كان في إبتداء الأمر غير جامع للشرائط، وأن يترك ثانيها ولو كان في إبتداء الأمر جامعاً للشرائط، وأن يأخذ بثالثها إذا كان جامعاً للشرائط ويتركه إذا كان فاقداً للشرائط.

أمّا الأوّل: فهو العلم، فإنّه ينبغي للإنسان أن يطلب العلم ويتعلّمه ولو لم يكن في أول الأمر قصده اللّه تعالى والتقرّب إليه، وذلك لأنّ العلم بالآخرة يجرّه إلى اللّه تعالى(١٢).

وأمّا الثاني: فهو القضاء بين الناس، فإنّ القاضي مشكل أمره وإن كان عدلاً فقيهاً، لأنّه كثيراً ما يجر الإنسان إلى الحكم بخلاف الحقّ.

وأمّا الثالث : فهو إمامة صلاة الجماعة، فإن كان عادلاً أقدم عليها، وإلاّ تركها.

أقول: بهذا الكلام المتين قد أشار الشيخ (قدس سره) إلى خطورة منصب القضاء، ولزوم أن يحتاط القاضي في الحكم أشدّ الاحتياط.

إلتزامات أخلاقيّة

ينقل عن الميرزا الكبير المجدّد الشيرازي(قدس سره)انّه كان يقول: إذا لم يحضر إمام الجماعة إلى الصلاة، فعلى المأمومين أن يذهبوا إلى تشييعه، وإذا لم يحضر المدرّس إلى الدرس، فعلى التلاميذ أن يذهبوا إلى عيادته... كناية عن لزوم حضور الإمام إلى الصلاة حتّى في أشقّ أحواله، ماخلا الموت، وحضور المدرّس إلى الدرس في جميع أحواله ماخلا المرض.

تعديل وتصحيح

يقال: انّ أحد زملاء الشيخ الأنصاري (قدس سره) في الدراسة - وكان ممّن لم يصل إلى ما وصل إليه الشيخ - قال يوماً في محضر الشيخ معرّضاً به: من السهل أن يصير الشخص عالماً، لكن من المحال أن يصير إنساناً - وكان يقصد بذلك انّ الشيخ عالم ولكن ليس له أخلاق -.

---

١٢ - هذا بنحو المقتضي لا العلة التامة.

فقال الشيخ (قدس سره) في جوابه ببساطة وبشاشة: انّه من الصعب أن يصير الشخص عالماً ولكنّ الأصعب هو أن يصير إنساناً.

واجبات اجتماعيّة

التجارب دلّت على انّ اللازم على الإنسان - خصوصاً العالم والحاكم - أن لا يعادي أحداً، مهما عاداه ذلك الشخص وناواه، إلا في موارد خاصّة أمره اللّه تعالى بمعاداته، وذلك للمثل المشهور المستفاد من الروايات والأحاديث الشريفة الآمرة بعدم الإستهانة بأمور مهما كانت تلك الأمور ضئيلة وقليلة - كالنار، والعداوة، والمرض - فإنّها وإن كانت تأتي في بادئ أمرها ضئيلة، لكنّها تستفحل وتطغى فلا يدري الإنسان ما يكون نهايتها؟ فربّما أحرقت نار صغيرة مدينة كبيرة، وربّما كانت كلمة جارحة سبباً لحرب طاحنة، وربما صار مرض بسيط بداية لوباء عظيم يسبّب موت آلاف من الناس.

من أجل إعادة حكم اللّه

نُقل عن المرجع الكبير الحاج آقا حسين القمي(قدس سره)انّه بعد عزل الغرب البهلوي الأول من الملوكية، غادر العراق بصحبة مراجع آخرين إلى إيران لإصلاح ما أفسده البهلوي فيها، ومن جملة مفاسده: إجبار النساء على الخلاعة والسفور، واختلاط الفتيان والفتيات في المدارس والمسابح وما أشبه ذلك، وانحراف الاقتصاد ومصادرة ممتلكات الناس، وإلى آخر القائمة.

ولما رأى (قدس سره)انّ الهيئة الحاكمة مصرّة على عدم تلبية مطالبه هددّها بالقيام عليها وأعلن قائلاً: بأنّه مستعدّ للمحاربة مع الدولة وإرغامها على تطبيق حكم اللّه ولو بإصدار فتوى توجب على الناس النفير العام لمجابهتها وعزم على ذلك، ولما رأت الدولة قيامه (قدس سره) واستعداده إلى هذا الحدّ من التفاني في سبيل اللّه، وكانت تعرف جيّداً شعبيّته في أوساط الناس وتأثيره فيهم، هابته وخافت من نفوذه وقيامه وأسرعت إلى تلبية مطاليبه.

وهذه القصّة نفسها مذكورة ولكن بشكل مفصّل وبنوع من الإسهاب في بعض ما كتبناه، وألمعنا فيها بأنّه هكذا ينبغي أن يكون العالم شجاعاً ومقداماً.

مع طاغية إيران

قيل: انه البهلوي الأول أمر رؤساء الأصناف بأن يطلبوا حضور أصنافهم وأن يأتوا إلى محل الاجتماع هم ونساؤهم سافرات، كل صنف في يوم، وابتدأ هو بنفسه، ثم الوزراء، ثم الوكلاء، ثم سائر الموظّفين، ثم الكسبة ومن إليهم، وذلك حتى يروّج السفور والخلاعة.

وأخيراً دعى البهلوي إمام الجمعة وقال له: لابدّ وأن تدعو أهل العلم بهذه الكيفيّة، فإستمهله إمام الجمعة وهو يعلم انه لو لم يُلبِّ طلبه كان نصيبه القتل، ثمّ أخذ يفكّر بأنّ خوف القتل هل يكون مبرّراً للقيام بطلب البهلوي أم لا؟

وأخيراً قرّر أن يستشير في أمره مع مرجع عصره ومعروف دهره السيّد مير محمد البهبهاني (قدس سره)، فجاء إليه سراً واستشاره في الأمر.

فقال له السيّد البهبهاني: إعلم ان للإنسان أربعة أشياء يحيى من أجلها ويموت وهي عبارة عن: المال، والحياة، والعرض، والدين، وكلّ مرتبة سابقة يفدّى بها من أجل المرتبة اللاحقة إذا دار الأمر بينهما، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يجب أن تعلم انه قد كبر سنّك وطعنت في العمر ولم يبق من حياتك إلا بضع سنوات على أحسن الفروض، فإذا لبّيت طلب البهلوي فقد اشتريت لنفسك - قبال حياة سنوات معدودة - الخزي والعذاب الأبدي، بالإضافة إلى لعنة التاريخ وشجبه لك، وإن لم تلبّ طلب البهلوي فمنتهى الأمر انّك تقتل فتشتري لنفسك - قبال فقد سنوات معدودة من عمرك - السعادة والحياة الأبدية، إضافة إلى ثناء التاريخ ومدحه لك. والعقل يوجب عليك أن تختار ما فيه السعادة الأبدية، إذن: فلا تلبِّ طلب البهلوي.

وبالفعل لمّا طلبه البهلوي للجواب، أجابه بكلّ قاطعيّة بالنفي، وأبدى عزمه على عدم تلبية ما أراد منه حتى وإن إنتهى به الأمر إلى ما لا يتحمّل عادة، معلّلاً ذلك بأنه لم يبق من عمره شيء وانه على أعتاب الآخرة، ولابدّ للإنسان من أن يموت، فليكن موته قتلاً في سبيل اللّه.

ولمّا سمع البهلوي كلام إمام الجمعة هذا، قال مغضباً: انّ هذه الجرأة على أن تكلّمني بهذا الكلام ليس منك، وإنما هو من ذلك السيّد، ويقصد به السيّد البهبهاني، وأخيراً حفظهما اللّه تعالى عن أن يصل إليهما مكروه، ونالا بموقفهما المشرف، عزّ الدنيا والآخرة، رحمة اللّه تعالى عليهما.

المرجع أب حنون

ذكر لي الخطيب الكبير والواعظ الشهير الحاج الشيخ مهدي المازندراني (قدس سره) صاحب التصانيف القيّمة كمعالي السبطين وغيره من الكتب الثمينة، نقلاً عن والده الشيخ عبدالهادي (قدس سره) وكان من تلاميذ الميرزا الكبير المجدّد الشيرازي (قدس سره) قائلاً:

إنه لما ولد له الشيخ مهدي تمرض الطفل بعد أيام من ولادته، وكانت زوجة الميرزا لها إلمام بالطب وتعرف طريق العلاج، فأخذ الشيخ وزوجته الطفل إلى دار الميرزا لتعالجه زوجة الميرزا.

فاتّفق أن كانت زوجة الميرزا مشغولة بأمر، فطلبت منهما بأن يأتوا بالطفل بعد ساعة، فإنزعج الشيخ، وعاد إلى داره مغضباً وعزم على عدم مراجعتها.

وبعد ساعة أرسلت زوجة الميرزا إليهم ليأتوا إليها بالطفل فتعالجه، لكن الشيخ أبى عليها ذلك، وتكرّر الطلب

من ناحيتها مرّات، والشيخ مصرّ على عدم تلبية الطلب.

قال الشيخ: قال والدي: وبينا أنا كذلك وإذا بي أسمع طرقاً على الباب، ولما تقدمت إلى الباب وفتحته، رأيت الميرزا، وخلفه زوجته قد جاءا بنفسيهما.

قال: فخجلت كثيراً وأخذت أعتذر من الميرزا.

فأجابني الميرزا قائلاً: لا بأس عليك، ولكن ألم يكن من المقرّر بيننا أن نكون في سامرّاء كعائلة واحدة؟

ثم دخلت زوجة الميرزا إلى الدار وجلس الميرزا إليّ في الدهليز يحدّثني، حتّى إذا وصفت الدواء للطفل وعالجته، خرجت من الدار، فودّعني الميرزا وعاد بصحبتها إلى داره.

قال الشيخ مهدي(قدس سره): وطبت ببركتها بعد أن كنت مشرفاً على الهلاك والموت.

المكافأة بالإحسان

نقل لي أحد الفضلاء، قصّة طريفة عن أحد الخطباء المبرّزين في طهران وقال: إنه بلغ في الناس منزلة رفيعة وبزغ نجمه حتّى حسده واحد من السادة وأخذ ينتقصه كلّما قام وقعد، وذات يوم كان ذلك الخطيب في الدار، وإذا بزوجته تدخل عليه وهي باكية محمرّة العين، مبحوحة الصوت، ضيقة الصدر من كثرة البكاء، فسألها عن السبب؟

فأجابت وهي تبكي: ذهبت إلى مجلس وإذا بأحد من السادة يقوم وينتقصك على مسمع من الناس ومنظر، وقد قال في جملة ما قال: ان زوجته سافرة وهي ترقص في الملاهي - ومعلوم ماذا يفعل مثل هذا الكلام في قلب امرأة عفيفة محجّبة شريفة -.

فلمّا سمع الخطيب ذلك قال: لا بأس عليك، إحتسبي ذلك على جدّه رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) وأخذ يسلّيها حتّى سكن ما بها... ولم تمض إلا أيّام وإذا بذلك السيّد يقع في مشكلتين: مشكلة التجنيد، ومشكلة المرض، فقد كان له ابنان شمل أحدهما قانون التجنيد الذي أحدثه البهلوي الأول، وأصاب الثاني مرض السل، وكلما حاول الأب إعفاء ابنه الأول من الجندية وإدخال ولده الثاني في المستشفى لم يتمكّن، فقيل له: لاوسيلة لنجاحك في مهمّتك إلا بتوسيط ذلك العالم الخطيب الذي كان ينتقصه هو، وقالوا له: إنّ نفوذه كبير، ولايتمكّن أحد من ردّ وساطته، فلم ير السيّد بدّاً من طرق باب ذلك العالم الخطيب لخلاص ولديه، وأخيراً جاء وطرق الباب عليه، فأذن له بالدخول.

قال السيّد: فلمّا دخلت عليه تلقّاني بوجه منبسط وصدر منشرح، ورحّب بي وأجلسني إلى جانبه وأخذ يتفقّدني ويسأل عن أحوالي وكأنّه صديق حميم، ثم سألني عمّا جاء بي إليه، وهل لي حاجة حتّى يقضيها لي؟

فقلت: نعم، وقصصت عليه قصّة ابني الأول وجنديته، وابني الثاني ومرضه.

فقال: لا بأس عليك، سأتّصل بالمسؤولين وأكلّمهم في ذلك، ثم إتّصل عبر الهاتف بإدارة التجنيد وتوسّط في إعفاء ابني الأول فعفي عنه، ثم إتّصل بمدير المستشفى العام وأراد منه إدخال ابني الثاني في المستشفى.

فقال المدير: لا مكان لنا اطلاقاً، وأراد أن يعتذر من قبوله لولا أن تداركه العالم الخطيب بقوله: إنصبوا له سريراً في صالة المستشفى حتى يفرغ سرير داخل الغرفة، ثم إنقلوه إليها.

فلم ير المدير بُدّاً من إجابته، ونقل المريض إلى المستشفى لمعالجته، وهكذا قابل العالم الخطيب الإساءة

بالإحسان.

الأمانة وثمراتها

قيل: ان بنت أحد الملوك الصفويّين زارت بعض أقربائها في دارهم وبقيت عندهم حتّى جنّ عليها اللّيل فخرجت وهي لا تعرف كم مضى من الليل، ولكن لما توسّطت الطريق ورأته خالياً من المارة عرفت انه قد مضى من الليل شطر كبير، فإستوحشت وخافت ولم تملك القدرة على مواصلة طريقها إلى دار أبيها الملك، ولا على الرجوع إلى دار قريبها الذي تركته، وبقيت متحيّرة تفتش عن مأمن قريب تلجأ إليه.

وإذا بإحدى المدارس العلمية الشبيهة بالقسم الداخلي المتعارف في المدارس اليوم مفتوح بابها، فدخلته وتوجّهت إلى غرفة من غرفها كانت مفتوحة الباب، وسيّد شاب فيها كان من جملة طلبة المدرسة مشغول بالمطالعة.

فوقفت عليه وحيّته ثم قالت: هل لك أن تستضيفني في مكان أمن سواد هذه الليلة؟

قال السيّد: نعم أدخلي المخدع.

فدخلت وبقيت هناك إلى الصباح، ولمّا أصبح الصباح خرجت من عنده مودّعة إلى دار أبيها وجاءت إلى مقرّ السلطنة، فرأتهم مضطربين أشدّ الإضطراب لفقدها تلك الليلة وقد طلبوها في كلّ مكان فلم يظفروا بها، ولذلك لما مثلت بين يدي أبيها الملك، قال لها أبوها الملك بتأثّر: أين كنت الليلة البارحة؟

فنقلت القصّة كاملة، فلم يشأ يصدقها الملك، وأمر بأن يبعثوا إلى القوابل ليفتشوها، فلمّا وجدوها سالمة كما كانت، بعث الملك إلى السيّد يطلب منه حضوره، فلما حضر رآه شاباً في أوّل عمره، فقال له وهو معجب بإيمانه وتقواه: ما قصّتك مع ضيفتك البارحة؟

قال السيّد الشاب: الأمر كما حدثتك.

قال الملك: أخبرني كيف استطعت أن لا تتعرّض لها ولو بنكاح حلال، وهي في قبضتك وتحت قدرتك ولم تكن تعرفها؟

قال السيّد الشاب: لأنها إستأمنتني ولاذت بي، فلم أحب الخيانة بها.

وفي أثناء المكالمة كانت قد وقعت عين الملك على أصابع السيّد ورآها مضمّدة، فقال له متسائلاً: مابال أصابعك مضمّدة كلّها؟

قال السيّد الشابّ: انّ الشيطان كان يعترضني البارحة ويوسوس في صدري بأن أقوم إلى ضيفي فكنت أزجره، فإذا أحرجني وألحّت عليّ نفسي وخفت الخيانة أخذت رأس إصبع من أصابعي فوق المصباح لأحرقه بالنار مذكّراً نفسي بنار جهنّم في الآخرة، حتّى إذا إحترق، أخذت إصبعي الآخر، وهكذا حتّى أصبح الصباح وقد أحرقت أصابعي العشرة كلّها.

وهنا صدّقت بنت الملك كلامه وقالت: لقد كنت أشمّ عنده رائحة اللّحم المحترق طول الليل ولم أعرف سرّه، والآن قد عرفته.

فتعجّب الملك من أمره، ثم عرض على السيّد الشابّ الزواج من ابنته تلك، فوافق السيّد على ذلك وتزوّج منها وصار بذلك صهر الملك وسمي من بعدها بالسيّد (الميرداماد) يعني: صهر الملك.

تأليف القلوب

يقال: انه أدعي ذات مرّة رؤية هلال شهر رمضان عند العامة، في سامرّاء ولم يدّع رؤيته أحد من الشيعة فيها، فقام الميرزا المجدّد(قدس سره) بمبادرة حسنة فقال لمن عنده: أدعوا لي من يدّعي رؤيته من العامّة، فدعوهم له، فجاءوا وشهدوا عند الميرزا بأنهم قد رأوا الهلال وشرحوا له كيفيّة رؤيتهم له، ووفقاً لشهادتهم حكم الميرزا بالهلال.

فتعجّب بعض الناس من هذه البادرة وسألوا الميرزا عن السبب وانه كيف اعتمد في الحكم بالهلال على شهادتهم؟

فقال الميرزا: اني كنت قد رأيت الهلال بنفسي وثبت عندي شهر رمضان لكنّي أردت عبر هذه المبادرة جمع قلوب المسلمين، والتأليف بينهم.

وهكذا يكون أولياء اللّه، فإنّ علماء الشيعة دأبوا على إيجاد الألفة والتقارب بين المسلمين، فإنّ في تنفير القلوب منشأ كلّ فساد.

المرجعية مسؤولية كبرى

قيل عن الوحيد البهبهاني (قدس سره)انه لما طعن في السنّ وصار شيخاً كبيراً، فوّض أمر التقليد إلى السيّد بحر العلوم(قدس سره)، وأمر بإرجاع الناس إليه، ولما سئل عن ذلك قال: اني لشيخوختي وكبر سنّي لا أتمكّن من إدارة الأمور المربوطة بالمرجع، ولا النهوض بالأعباء الثقيلة للمرجعية، والسيد أقدر منّي على ذلك، وأقوى بالقيام بمهامّ الأمور، فهو أليق منّي بها. نعم هكذا كان علمائنا الأخيار رحمة اللّه تعالى عليهم أجمعين.

من وعي المرجعية

نقل لي المرحوم الوالد(قدس سره) قصة طريفة اتّفقت للميرزا المجدّد(قدس سره) قائلاً:

انه جاء جماعة من إيران إلى سامراء لزيارة الميرزا المجدّد وذلك بعد قصّة التنباك وكانوا قد أتوا معهم بالهدايا وتحف كثيرة إلى الميرزا، ثم اقترحوا عليه أن يضع منهجاً لتصحيح النظام في إيران، وقالوا: انه لا يصح أن يكون الملك مطلق العنان وأن يفعل ما يشاء بلا مشورة من العلماء الأعلام مما يسبب كثرة المظالم على العباد، وفساد البلاد، وتخريب الاقتصاد، كل ذلك في مثل هذا البلد المسلم والموالي لأهل بيت رسول اللّه(صلى الله عليه وآله) فمن الجدير أن تأمروا بوضع ما يُلزم على الملك التقيّد بالمشورة في كل ما يريد أن يفعله بالنسبة إلى ما يرتبط بشؤون الناس ومصير البلاد، وأن يكون تشاوره مع جماعة من العلماء الأخيار ورجال من الأعيان المتديّنين والمطّلعين على الأوضاع، ثمّ أكّدوا ذلك وكرّروه بصيغ مختلفة وعبارات متفاوتة.

فلم يجبهم الميرزا في مجلسه بشيء وإنما أصغى لهم واستمع إلى ما يقولونه بدقّة، وكان من عادته انه يسكت إذا كان لا يروق له كلام السائل.

فقاموا وخرجوا من المجلس وطلبوا من بعض أصحاب الميرزا أن يعقّبوا الموضوع، ويأخذوا منه النتيجة ويخبروههم بها.

ولمّا عقّبوا الموضوع وأرادوا من الميرزا الجواب على اقتراح القوم قال الميرزا في جوابهم: (اني أفهم ما يريدون، ولكنّي لا أسبب الاضطراب والفوضى لإيران بسبب ما يذكرونه من المحاذير وردّ هدايا الجماعة ولم يقبلها، وتبيّن بعد ذلك ان الأمر كان مدبّراً من قبل المستعمرين الطامعين في بلاد المسلمين، وكان قد أدرك الميرزا القصّة بفراسته، وعرف أنها كلمة حقّ يراد بها باطل.

مصارعة الهوى

ذكر لي أحد الأصدقاء انه كان في طهران، حين ورود المرحوم الشيخ علي المقدس، إليها وهو في طريقه إلى خراسان، فدعي من قبل الأهالي إلى الصلاة بهم جماعة، فوافق الشيخ على طلبهم وصلّى بهم أيّاماً، وإزدحم المسجد بالمصلّين من كافة طبقات الناس، وخاصّة بالمقدّسين والأخيار، حتى حسده بعض الناس.

وذات يوم حين كان راكباً على حمار له وهو في طريقه إلى زيارة السيّد عبد العظيم الحسني (عليه السلام) في ري وإذا به يسقط من فوق الحمار على أُمّ رأسه إلى الأرض وينقل من فوره إلى المستشفى ويبقى فيها تحت العلاج والمراقبة عدّة أسابيع، وكان في أوائل الحادث على أثر إصطدامه الشديد بالأرض مغمى عليه مما سنحت الفرصة لحسّاده أن يقولوا عنه ان قد جُنّ من أثر الصدمة.

حتى إذا برىء الشيخ مما نزل به وخرج من المستشفى طُلِب منه مواصلة إمامته للصلاة، فلبّى الطلب وخرج وقت الصلاة إلى المسجد، وإذا به يرى انه قد إزدحم المسجد بالمصلّين إزدحاماً منقطع النظير وقد توافد الناس للصلاة خلفه من كل صوب ومكان.

فلما رأى ذلك وكان قد وصله مقالة حاسديه، أخذ يحدث نفسه قائلاً: أين الذين كانوا يقولون عنك إنك قد جننت وفسد عقلك ليسقطوك عن أنظار الناس؟ فليحضروا حتى يشاهدوا هذا الاجتماع الكبير، والحشد الهائل من المصلّين!

وبمجرّد أن تمّ حديث الشيخ مع نفسه إنتفض وكأنّه أفاق من غشوة، وجذب عنان مركبه ولوّى برأسه ليرجع من حيث أتى.

فقال له بعض من كان بصحبته: إلى أين يا سماحة الشيخ؟

فأجاب قائلاً: إلى البيت.

قال: ولم؟

قال: لأنّه قد حدثتني نفسي بحديث تبيّن لي منه: انّ إمامتي للصلاة من الآن ليست خالصة لوجه اللّه تبارك وتعالى، وإنما هي مشوبة بهوى نفسي، وإلا فما أنا والتباهي بكثرة المصلّين المؤتمّين بي؟ وما أنا والردّ على الطاعنين فيّ والباغين عليّ؟ ثم رجع.

ولما علم الناس برجوعه، إزدحموا عليه، وكلما حاولوا إرجاعه لم يقبل بالرجوع ولم يؤمّ بعد ذلك صلاة

جماعة مدّة بقائه في طهران، وإنما جمع أمره وسافر إلى مدينة مشهد المقدّسة للتشرّف بزيارة الإمام الرضا (صلوات اللّه وسلامه عليه).

المرجع وموقفه من الناس

قيل: انه لما إتّخذ الميرزا الكبير المجدّد الشيرازي(قدس سره) من سامراء مقراً له ولمدرسته العلمية، ضاق ذلك على بعض السنّة، وفكّر المنحرفون منهم في إنزال الشرّ والسوء بالميرزا، ولذا حرضوا أولادهم برمي دار الميرزا بالحجارة، ثم تعدّى الأمر حتّى أخذوا يرمون دور الشيعة.

فوصل الخبر إلى بغداد وإنتشر بين الناس حتى وصل إلى مسامع الحكومة، وإذا بأربعة من السفراء ورجال الحكم: (الوالي العثماني) و(السفير الإيراني) و(السفير البريطاني) و(السفير الروسي) يقصدون سامراء للإتّصال بالميرزا وإستنماره فيما يجب أخذه من التدابير اللازمة.

لكن الميرزا أبدى عند التقائه بهم عدم إهتمامه بالأمر ممّا أثار تعجّبهم قائلاً: بأنّ أهل سامراء هم مثل باقي المسلمين بمنزلة أولادي وأبنائي والأب لا يغضب إذا أساء بعض ولده.

وهنا أصرّ السفير العثماني على الميرزا بإجازته له في تعقيبهم وتأديبهم قائلاً: أحمل تراب سامراء بالعَليق - كناية من إنهاكه لهم في التأديب -.

ولكن الميرزا أصرّ على الإباء والإمتناع عن أن يأذن له بذلك وصرفهم بسلام.

ولما علم أهالي سامراء بالقضية، واطّلعوا على موقف الميرزا المشرف ونواياه الطيّبة اتّجاههم، ندموا وانقلبوا إلى أولياء محبّين، وتبدّل بغضهم حبّاً وحناناً وندموا على مافعلوا وجاءوا إلى الميرزا تائبين مستغفرين.

في استقبال الشيخ التستري

يقال : انّه لما عزم الشيخ جعفر التُستري (قدس سره) الزاهد المعروف، على زيارة الإمام الرضا(عليه السلام) وسافر إلى إيران واستقبله الناس في طهران استقبالاً منقطع النظير، وكان قد خرج في جملة الناس للتفرّج، وليس للإستقبال، السفير الروسي في طهران يومذاك.

وعندما توسّط الشيخ المستقبلين طلبوا منه أن يعظهم، فرفع الشيخ رأسه وأدار بنظره في وجوه من حوله من المستقبلين ثمّ رفع صوته فيهم وقال: أيّها الناس اعلموا انّ اللّه موجود، وسكت، وحيث انّ هذه الكلمة كانت قد خرجت من القلب ومن مثل الشيخ التستري وقعت في القلب وأثرت أثرها البالغ والمدهش في النفوس، فجرت الدموع، ووجلت القلوب، وحدث في حال الناس إنقلاباً روحيّاً عجيباً.

فكتب السفير الروسي - وقد إصطدم معنوياً مما رآه من تعاطف الشعب مع علمائه - إلى (نيوقولا) قيصر روسيا: انه يجب علينا مراجعة نوايانا السياسية تجاه إيران والشعب المسلم وإعادة النظر فيها، فإنه مادام رجال الدين والعلماء موجودين بين الناس، وللناس تعلّق كبير بهم، قلت نتمكّن من فعل أيّ شيء يمسّ كرامتهم

ويهدّد استقلالهم، فإنّ كلمة واحدة من واحد من علمائهم كافية لإحداث موجة عارمة في نفوسهم، فكيف بالأوامر الصارخة والصريحة منهم؟

على موائد الخلفاء

جاء في التاريخ انّ أحد علماء العامة ويدعى (شريكاً) كان معاصراً للخلفاء العباسيّين وكان من أشدّ الأعداء لهم بحيث لم يكفّ عن معارضتهم أبدا، وكان الخليفة المعاصر يخشى من تأديبه لمكانته في الناس، فتحيّر الخليفة في أمره، وأخيراً فكّر في إحتوائه وإغرائه عبر المقام والجاه.

فطلبه ذات مرّة، فأبى أن يلبّي طلبه، وبعد إصرار من الوسائط وافق على الحضور، فحضر مجلس الخليفة، فرحّب به الخليفة وأكرمه وقال له فيما قال: انّك تعلم انّ القضاء هو الأساس المقوم للناس والسبب لإيصال كلّ ذي حقّ إلى حقّه، ومن المعلوم: انّ القضاة غير الأكفاء يفسدون أكثر ممّا يصلحون، ولذلك فإنّي رأيت إنقاذ الأمّة بعرض منصب قاضي القضاة عليك.

فأبى (شريك) قبول ذلك وقال: كلاّ فإنّي لا أفسد بإصلاح غيري.

قال الخليفة بعد أن فكّر مليّاً: إذن فهذان إبناي أدّبهما فإنّ الأمر يؤل إليهما، ولو أدّبتهما كانت الأمّة بمنجى من غوائل الخلفاء.

قال شريك: انّ الأمر كما تقول ولكنّي غير مستعدّ لذلك.

وكلّما حاول الخليفة إقناعه لأن يوافق على أحد الأمرين لم يزدد (شريك) إلا إصراراً في الرفض.

عندها قال الخليفة: إذا كنت لم تقبل شيئاً من ذلك، فكن إذن في منصب مشاور الخليفة، وأنت خبير بدور المستشار وأثره في تقويم الخلافة وتطبيق العدالة في المجتمع.

فأبى (شريك) من قبول هذا المنصب الثالث أيضاً.

وأخيراً قال له الخليفة: إذن فكن ضيفنا هذا اليوم وإبقَ عندنا لتناول طعام الغداء، فقبل (شريك) ذلك بعد إصرار كبير، وأمر الخليفة بإقامة الضيافة على شرفه، كما وأمر خادمه بأن يقدم له من طعامه الخاص به، ففعل الخادم ذلك، ولما ذاق شريك من الطعام إستساغه، فما رفع يده عنه حتّى أكله بالتمام وأتى عليه كاملاً، ولما جاء الخادم ولم ير من طعام الخليفة أثراً سأل بعض الحاضرين عمّا فعل (شريك) بالطعام؟

فقيل له: أكله تماماً.

قال الخادم لما سمع ذلك: إذن لن يفلح واللّه بعد أكله هذا أبداً.

وكان كما ذكر، فإنّ (شريكاً) لم يقم من مجلسه هذا حتّى قال للخليفة: لقد فكّرت فيما قلت فرأيت كلامك حقّاً، وقد قبلت تعليم الأولاد، ومنصب قاضي القضاة وأن أكون مستشاراً لك.

ففرح الخليفة فرحاً عظيماً من موافقة (شريك) على ما عرضه عليه، وأمر بإسناد المناصب الثلاثة إليه فوراً، وبعد ذلك إنتهت معارضته إطلاقاً، وصار موافقاً ومدافعاً.

وفي الأيام الأولى كان مرتبه الشهري يقدم إليه على باب داره، ثمّ كان يذهب هو بنفسه لاستسلامه، لكن كان يراعى ويقدّم له مرتبه بسرعة واحترام، وبعد فترة جاء شريك ذات مرّة ليأخذ مرتبه، فلم يسرع المأمور بدفع الراتب إليه.

فغضب (شريك) من التأخير وصرخ في وجه المأمور ليعجّل له بمرتبه قائلاً: هات حقّي.
فقال له المأمور بامتعاض: وهل بعتنا شيئاً تريد منّا قبض ثمنه؟
قال (شريك) ببرودة: نعم بعتكم أغلى شيء أملكه وهو ديني.
وهكذا تباع الضمائر والأديان على موائد الخلفاء والحكّام، وهكذا أيضاً تفعل المغريات بالنفوس الضعيفة.

في مجالس الوعظ

نقل عن الشيخ الأنصاري(قدس سره)انه كان إذا جاء من النجف الأشرف لزيارة كربلاء المقدّسة صحبته جماعة من طلاّبه، فكان إذا وصلها وتشرّف بزيارة السبط الشهيد (عليه السلام) إلتفت لمن جاء معه من المصاحبين له وقال لهم: تعالوا نذهب إلى مجلس وعظ الخطيب الشهير الشيخ جعفر التستري.

ثمّ كان يعقّب كلامه ذلك بقوله: فما أحوجنا إلى إستماع الموعظة، فقد مالت قلوبنا إلى القسوة وران عليها.

نعم من الضروري للإنسان وخاصّة المراجع ورجال الدين مطالعة كتب الوعظ كمواعظ البحار، ومجموعة ورّام، وغيرهما، أو حضور مجالس الوعظ وما أشبه.

تصحيح عقائد الغلاة

كان من دأب الميرزا الكبير، المجدّد الشيرازي(قدس سره) إكبار رجال الدين وتوقيرهم، واحترامهم والإحتفاء بهم جميعاً، وذات مرّة دخل عليه واحد من رجال الدين، فاحترمه الميرزا غاية الاحترام، وأظهر له من العناية والإقبال ما لم يظهره لأحد، لقد استقبله بحفاوة وشيّعه بإجلال كبير، مما سبب تعجّب الحاضرين وإستغرابهم، فسألوا الميرزا بعد ذلك عن السبب؟

فقال: احترمته لإخلاصه في دينه، ولواقعيّته وصدقه مع ربّه، ولقدرته النفسيّة العجيبة، انه كان زميلي في الدراسة الحوزويّة حتّى إذا أكمل السطوح والدروس العالية وبلغ درجة الاجتهاد، عزم على الرجوع إلى بلاده ليكون هناك مرجعاً في الإفتاء ومتصدّياً لمسائل الناس وأحكام دينهم، وفي طريقه إلى بلاده مرّ على منطقة كان يسكنها الغلاة القائلين بألوهيّة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) من نواحي (كرمانشاه)، ولمّا عرف الأمر وإطّلع عليهم، رأى أنّ واجبه إرشاد هؤلاء وتصحيح عقائدهم، وانّه مقدّم شرعاً على الذهاب إلى بلاده لإفتاء الناس وتصحيح فروعهم، فترك العودة إلى بلاده وبقي هناك، وبدأ عمله من المسجد، فقد قام فيه معلناً لأهل القرية: بأنّه معلّم، ومستعدّ ليعلّمهم الكتابة والقراءة بثمن زهيد لا يتجاوز سدّ رمقه.

فتكاثر عليه التلاميذ وأخذ يعلّمهم إضافة إلى القراءة والكتابة، أصول الإعتقاد وسائر الأمور الإسلاميّة وبقي هناك حتى ربّى جيلاً مؤمناً تحوّلت القرية على أثرهم إلى قرية شيعيّة، وصار أهلها شيعة بعد أن كانوا من الغلاة، وذلك على أثر تضحية هذا الرجل وتفانيه في سبيل اللّه، والإغضاء عن مصالحه ومآربه الشخصيّة، ولذلك فهو جدير بهذا الاحترام، ولائق بالتجليل والتقدير.

من مهامّ المرجعيّة

إنّ من مهامّ المرجعيّة تعيين وكلاء أكفاء يكونون حلقة وصل بين المرجع وبين مقلّديه، ينقلون إليهم فتاواهم، ويقومون بشؤونهم الدينية، وكان السيّد أبو الحسن الأصفهاني (قدس سره) من بين المراجع نموذجاً في حسن التوكيل وكثرة الوكلاء في أطراف البلاد الإسلامية، وذات مرّة إشتكى أهل إحدى البلاد إلى السيّد أبي الحسن الأصفهاني (قدس سره) من وكيله.

فإستدعاه السيّد إلى النجف الأشرف وطلب منه الإلتقاء به، فجاء الوكيل وجلس في المجلس بعيداً عن السيّد، حيث كان المجلس غاصّاً بالناس، ولمّا تفرّق الناس وخف المراجعون، طلبه السيّد قريباً منه، فجاء مهروِلاً إلى السيّد حتى جلس عنده، فإلتفت إليه السيّد(قدس سره) وقال له بعد أن سأله عن أحواله: هل تعرف لماذا بعثت إليك؟

أجاب: لا.

قال السيّد: بعثت إليك لأطلب منك البقاء عندنا في النجف الأشرف ومواصلة دروسك، فإبقَ معنا ولا ترجع إلى منطقة تبليغك، فسوف نرسل إليها من يكفيك عنها.

قال: لا بأس وبقى ليواصل دروسه، ثم ودّع السيد وقام وانصرف.

فلمّا انصرف قيل للسيّد: انّك لم تتحقّق منه عن الأمر وعزلته بلا تحقيق؟

قال السيّد: نعم انـي كنت قد طلبته للتحقيق، ولكن لما إستدنيته منّي هرول في المجلس بأسلوب غير معتاد مع أنه لم يكن مكان هرولة، فعرفت انه لا يصلح للوكالة وان الحق مع الّذين إشتكوا منه، لكن حيث اني لم أرد جرح عواطفه ولا إذهاب ماء وجهه، أمرته بالبقاء عندي بدون أن أذكر له السبب، نعم هكذا ينبغي مراعاة حرمة رجال الدين، والمحافظة على مكانتهم الاجتماعية.

مداراة الناس

قيل: انه كان أحد رجال المنبر مخالفاً للمرحوم السيّد محمد كاظم اليزدي، وكان يعرّض به أحياناً على المنبر.

قال أحد العلماء: فإتّفق لي أن كنت في مجلس وكان فيه السيّد اليزدي (قدس سره) حاضراً، فجاء ذلك الرجل المخالف وصعد المنبر وهو لا يعلم بحضور السيّد -لأنّه لأجل تقصيره في حقّ السيّد ما كان يتجرّأ على صعود المنبر عند حضوره ومشاركته في المجلس- وفي الأثناء وقعت عيناه على السيّد، فإرتبك وإضطرب، وتلجلج في كلامه، حتى انه أخطأ في بيان مسألتين شرعيّتين كان قد شرع في الكلام عنهما ممّا ألفت نظر الجميع إلى خطئه وأخذوا يرقبون ردّ السيّد له.

لكن السيّد(قدس سره) لم يتكلّم بشيء ولم يعترض عليه حتى نزل الرجل عن المنبر، فطلبه السيّد ونبّهه على خطئه، وذلك بعد إقبال شديد منه عليه، وإحتفاء كبير به، حتّى كأن لم يكن بينهما حزازة أبداً، ثم قام الرجل وإنصرف.

قال وهو يواصل قصته: فحضرت المجلس في اليوم الثاني أيضاً، لأرى نتيجة ما حدث بالأمس، فإذا بالرجل جاء وصعد المنبر وتلا في طليعة منبره آية التوبة، ثم أعلن توبته عمّا كان يبدر منه أحياناً من سوء الأدب

والإساءة إلى السيّد وقال: إنكم جميعاً قد رأيتم قصّتنا يوم أمس، فقد كان للسيّد الحقّ شرعاً وعرفاً في الإعتراض عليّ من تحت المنبر، لأنّي قد بيّنت الحكم مخالفاً للشرع إشتباهاً، وكان في ذلك إفتضاحي وإنكساري، ولكن السيّد لم يفعل ذلك مع ما كان يصله عنّي من سوء أدب وإساءة بالنسبة إليه، وإنما دعاني إليه، وبعد إكباره واحترامه لي أخذ ينبّهني بكلّ رحابة على اشتباهي في الحكم الذي ذكرت، ثم عقّب كلامه ذلك بقوله: نعم وهكذا يكون أخلاق مرجع كبير ونائب للإمام المهدي (عجّل اللّه تعالى فرجه الشريف) حقّاً كالسيّد.

ثم قال: الآن أنا نادم ممّا فعلت سابقاً ومعتذر إليه وإليكم، والعذر عند كرام الناس مقبول.

الإحسان مقابل الإساءة

حكي عن الميرزا الشيرازي(قدس سره)أيّام تواجده في سامراء بأنّ جماعة من أهالي سامراء غير الشيعة كانوا قد أغروا صغارهم وشبانهم لأذيّة الميرزا والشيعة، وتحمل الشيعة منهم الأذى بأمر الميرزا، وفي ذات يوم أراد أحد أولئك الشبان أن يتزوّج، فقال في نفسه: سوف أذهب إلى الميرزا وأطلب منه مؤونة الزواج فإن أعطاني شيئاً فهو، وإلا أذيته.

وبالفعل جاء إلى الميرزا وعرض عليه أمر زواجه ثم طالبه بمساعدة مالية.

فقال له الميرزا: وكم مصرف زواجك؟

قال الشاب بمبلغ ذلك اليوم: خمسون ليرة.

فأعطاه الميرزا المبلغ من دون مماكسة، فتعجبّ الشاب كثيراً وجاء إلى أبيه وحكى له القصّة، فتعجّب أبواه أيضاً وإنبهرا من مقابلة الميرزا إساءتهم بالإحسان، وأخذ يحكي القصّة لكلّ من يراه، حتّى انه حكى ذلك في ديوان أحد شيوخهم في سامرّاء، فتعجّب الجمع، وقالوا بكلمة واحدة: لا ينبغي إيذاء مثل هذا الرجل الكريم.

ثم قام جماعة من الشيوخ ومعهم القرآن الحكيم والسيف وأتوا إلى دار الميرزا وكان مثل هذا العمل عادة منهم لإظهار التوبة عند الكبراء، فلمّا إلتقوا بالميرزا قالوا له وهم نادمون معتذرون: انّ أولادنا آذوك ولم يحفظوا حرمتك، وقد جئناك معتذرين، فإن رأيت أن تغفر لنا وهذا القرآن نحلف به أن لا نعود إلى ما يسخطك عنّا أبداً، وإن رأيت أن تقتص منّا فهذا السيف خذه واقتص به منّا.

فأجابهم الميرزا بكل عطف وحنان قائلاً: لا بأس عليكم، انّ هؤلاء الشباب أولادي، وهل يقتص الأب من أولاده؟ ثم اني مطمئنّ بحسن جواركم، وطيب تعاملكم، فلا حاجة لشيء من الأمرين، فشكروا الميرزا على قبوله عذرهم وقاموا وخرجوا من عنده وهم فرحون مستبشرون، وصار هذا الصنيع من الميرزا سبباً من أسباب الألفة بين السنّة والشيعة، والإجلال والإكبار من الأهالي للميرزا وأصحابه.

مصاهرة الملوك

يقال: انه كان للميرزا القمي(قدس سره) صاحب (القوانين) ولد بلغ سنّ الرشد وحان وقت زواجه، وكان للملك المعاصر لصاحب القوانين (فتح علي شاه) بنت أراد تزويجها منه، فأرسل الملك رسوله إلى الميرزا القمي ليكلّمه في هذا الموضوع.

فلمّا جاءه الرسول وأخبره بالخبر، قال الميرزا: سوف أجيب.

ولما رجع رسول الملك، تفرغ الميرزا لمناجاة ربّه، وأخذ يدعو اللّه ويقول ما مضمونه: اللّهمّ إني أشكو إليك ما في مصاهرة الملوك من البلايا والفتن، والإقبال على الدنيا والعزوف عن الآخرة، وما لا يليق بالعلماء ورجال الدين، اللّهمّ وانّ ابني هذا ممّن سلك طريق العلم وهو يريد رضاك، اللّهمّ فإن كان نجاة ابني من هذا البلاء بالموت، فإنّي أطلب منك موته - كل ذلك خوفاً منه مما تجرّه مصاهرة الملوك على الإنسان من الدخول في الدنيا وزخارفها ونسيان الآخرة وخسرانها -.

وبالفعل فقد إستجاب اللّه دعاءه وأخذت الولد الحمى من فوره ولم تمض ثلاثة أيّام من دعاء الميرزا إلاّ وإلتحق الولد بالرفيق الأعلى.

ومثل هذه القصّة ينبغي أن تكون درساً لرجال الدين، مع العلم انّ (فتح علي شاه) كان مجازاً من قبل الشيخ جعفر كاشف الغطاء(قدس سره) في إدارة أمور البلاد ورعاية شؤون العباد، فإنّ الإجازة موجودة بنصّها في كتابه كشف الغطاء، وكان نوعاً مّا مواظباً على الأحكام الشرعيّة.

وينقل عن أحد العلماء انه قال: ذات مرّة سافرت من النجف الأشرف إلى كربلاء المقدسة وحين كنت أزور في الحضرة الحسينيّة(عليه السلام) إذ رأيت (فتح علي شاه) جاء إلى قرب الرأس الشريف ودموعه جارية على لحيته، ثم ذهب خلف الرأس ورجع، قال: فتعجّبت كيف جاء الشاه إلى العراق ولم نعلم به وكيف انه وحده يزور بلا كوكبة وحشد؟

قال: فخرجت في أثره لأحقّق الأمر فلم أجده فسألت الخدم عنه؟

قالوا: لم نجد ما قلت وأنت مشتبه، فزاد تعجّبي وسألت من حافظي الأحذية (الكشوان) وأجابوا بمثل أجوبة الخدم فخرجت من الحضرة وأرخت القصّة، ولم تمض إلا أيام حتّى جاء نعي الشاه وانه كان مصادفاً لنفس ذلك اليوم الذي رأيته في الحضرة الحسينية(عليه السلام).

شورى المراجع

كان ناصر الدين شاه - على ما قيل - يتّخذ القرارات السياسية المرتبطة بشأن البلاد والعباد وحده بلا مشورة من مراجع الأمّة الفقهاء، ولا طلب رأي من العلماء الأعلام، ولذلك كانت الإعتراضات تتوالى من العلماء والمراجع على قراراته غير الصائبة، عملاً بوظيفتي: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وكانت هذه الإعتراضات تقلّل من شخصيّة الشاه وتعرضه للسقوط في أنظار الشعب.

وتلافياً للأمر كان الشاه يضغط - ولكن بكل خفاء - على العلماء والمراجع حتى لا يتجرؤوا على معارضته بتصوّره.

وكان من جملة أولئك المعترضين المرحوم الفشاركي في أصفهان، ففكّر الشاه في طلبه وتهديده بالكفّ عن معارضته، واستقدمه لذلك.

فوصل خبر هذا الأمر إلى أحد علماء طهران وعلم بأنّ الشاه يقصد من إستقدام الفشاركي (قدس سره) تنقيصه وتهديده، ورأى انّ هذا الأمر لو توفّق له الشاه، تعرّضت كرامة كلّ العلماء والمراجع إلى الخطر، ففكّر في العلاج، فرأى انه لم يكن هناك شيء يعالج الأمر بسلام، ويصدّ الشاه عن نواياه أفضل من إتّحاد العلماء

والمراجع فيما بينهم.

وإنجازاً لهذه المهمّة، إتّصل ذلك العالم الفقيه ببقيّة علماء طهران وقام بزيارتهم بنفسه ليلاً، وأعلمهم بإستقدام الشاه للعالم الفاضل: الفشاركي إلى طهران وما ينويه تجاهه، وحذرهم من مغبة الأمر، وانه إذا تم للشاه ما ينويه تجاه الفشاركي فسوف يسهل عليه التعرّض لهم أيضاً، إضافة إلى انه منكر شرعاً ويجب عليهم ردعه.

ولإتّخاذ موقف موحد عقدوا اجتماعاً طارئاً بحثوا فيه كيفيّة مواجهة الشاه، وخرجوا بإتّخاذ القرار التالي: وهو أن يعلنوا في الصباح المبكر من يوم غد عن خروجهم إلى استقبال الفشاركي، وفور ما سمع الناس هذا أغلقوا محلاتهم وتركوا أعمالهم وخرجوا بصحبة علمائهم للاستقبال خارج المدينة.

فورد الفشاركي(قدس سره)على المستقبلين بكلّ عزّ واحترام، ونزل ضيفاً على علماء طهران الذين كانوا في مقدّمة المستقبلين، ولما رأى الشاه ذلك، قال لوزيره: أرأيت كيف اتّحدت العمائم ضدّي؟

قال الوزير: والآن لا علاج إلاّ أن تزوره وتكرمه وتعتذر منه.

وقبل الشاه ما أشار عليه الوزير وفعل ذلك وانتهى الأمر بانتصار الدين ورجاله، وعظمة الإسلام وأهله ببركة ذلك الاتّحاد المنبعث عن العقل والرؤية الصائبة.

نعم انّ (شورى الفقهاء المراجع) ضرورة دينيّة ملحّة، وواجب شرعي وعقلي، وخصوصاً في هذا العصر الذي لم ينفرد شخص واحد أو جهة واحدة بالعداء ضد الإسلام، وإنما أحاط الأعداء بالمسلمين من كلّ جانب.

من حزم المرجعيّة

يحكى انه وقع قحط في بغداد أيام مرجعيّة السيد المرتضى علم الهدى(قدس سره)، وحيث ان السيّد كان يجري على طلبة العلم ورجال الدين الذين يحضرون درسه في بغداد المرتّب الشهري، إحتال يهودي للتوصّل إلى المرتّب الشهري والحصول عليه بإظهار الإسلام، والإنضمام إلى صفوف الطلبة.

فأظهر اليهودي الإسلام وجاء إلى درس السيّد، وذلك في تلك الأيّام العجاف، والقحط الشديد، فقبله السيّد وأجرى له مرتّباً شهريّاً كما يجريه لبقيّة طلبته، وأحسن معاشرته.

فلمّا رأى اليهودي حسن معاشرة السيّد، وطيب معاملة المسلمين، أسلم قلباً وآمن حقيقة، وبقي يواصل دراسته عند السيّد، ولم يفارقه حتّى الموت - وذلك بعد أن هدى إلى الإسلام جماعة من أقربائه وذويه اليهود - وهذا كان من بركة حزم السيّد(قدس سره) وحسن تقديره.

بين الأستاذ وتلميذيه

قيل : انّ الشيخ المفيد(قدس سره) رأى ذات مرّة في عالم الرؤيا انّ فاطمة الزهراء (صلوات اللّه وسلامه عليها) أتته بولديها الإمامين: الحسن و الحسين (عليهما السلام) وقالت له: يا شيخ علّمهما الفقه.

وفي صباح الغد أتت السيّدة فاطمة والدة السيّدين: الرضي والمرتضى بإبنيها إليه وقالت له: يا شيخ علّمهما الفقه.

فعرف الشيخ - على أثر الرؤيا التي رآها – إنّه سيكون لهذين الولدين السيّدين شأناً كبيراً، فاهتمّ بتعليمهما

وتأديبهما.

وبعد مدّة جيء إلى الشيخ المفيد(قدس سره) بهديّة مجموعة أمشاط، فوزّعها على الطلاّب ماعدا السيّدين: الرضي والمرتضى (قدس سرهما).

فقيل له في ذلك؟

فقال: انيّ لا أعلم أنّهما قد إلتحيا، إذ عند مجيئهما إليّ كانا شابّين أمردين وسيمين، فلم أنظر في وجههما منذ ذلك اليوم.

نعم كلما إزداد تقوى الإنسان وورعه ازداد احتياطه واجتهاده فيما يبعده عن موارد الريب والشك، إضافة إلى انّه كان بعمله ذلك يريد تربية مجتمعه على الحياء والعفّة وغضّ الطرف.

الترحيب بالضيف

قيل : انه كان من عادة الميرزا الكبير المجدّد الشيرازي(قدس سره)أن يأكل في اليوم مرّة، لا ثلاث مرّات، كما إعتاد عليه معظم الناس، وإتّفق أن ورد عليه الشيخ حبيب اللّه الرشتي(قدس سره) ضيفاً، فكان الميرزا قد أمر بتهيئة الطعام له في وجبات ثلاث وكان هو يحضر على المائدة في الأوقات الثلاثة احتراماً له، وإن كان لا يأكل إلا مرّة واحدة على عادته السابقة، وكان ذلك مع كثرة اشتغالاته وقلّة وقته(قدس سره).

مع قائد ثورة العشرين

يقال : انه جاء رجل إلى المرحوم الشيخ ميرزا محمّد تقي الشيرازي (قدس سره) قائد ثورة العشرين، الثورة العراقية المعروفة ضدّ المستعمرين الإنجليز، فسبّه وأكثر من الرقيعة فيه، والمرحوم ساكت لا يتكلّم.

وبعد ذلك أمر الميرزا بإرسال مقدار من الدابوعة (الرقّي) والنقود إلى داره.

فقيل له في ذلك؟

فقال: انّ درجة حرارته قد إرتفعت، وهذا كان من أثرها، والدابوعة تخفّف من شدّة الحرارة فبعثت بها إليه ليعالج بها نفسه، ويتخلّص من العناء الذي أبتلي به، هذا وقد جرت العادة في سامراء بإرسال الطعام والفاكهة إلى بيوت أهل العلم والفقراء من أهل البلد.

التأديب بالإحسان

نقل عن الآخوند (قدس سره) صاحب الكفاية، انه كان رحب الصدر كبير النفس، لايعبأ بمن يهجوه أو يجفوه ولا يلتفت إليه، هذا مع عظم مرجعيّته وكبير شوكته، وممّا يدلّ على ذلك القصّة التالية:

انّه كان أحد الطلاّب يهجو الآخوند(قدس سره) ويذكره بسوء، وذات يوم سمع الآخوند بأنّ للّذي يهجوه مريضاً، وإتّفق أن مرّ به في بعض الطريق ذلك الطالب حاملاً طفلاً له.

فسلّم عليه الآخوند وقال له وهو يتفقّده: كيف حالك؟

فأجاب بكلّ برودة، ثم قال ذلك الطالب: فرأيت الآخوند يصافح ولدي ولم أفهم قصده من مصافحته، ولكن بعد أن ودّعني وذهب رأيت انّ في يد إبني سبع ليرات ذهبيّة، مما ظهر انه(قدس سره) قد أعطاه المال إشفاقاً عليه، وإن كان هو يهجوه ويظهر الجفاء له، وبهذا إنقلب الطالب الذي كان يهجو الآخوند(قدس سره)إلى رجل يثني على الآخوند ويمدحه.

من مكارم الأخلاق

حُكي عن السيّد محمّد الحجّة الكوه كمري(قدس سره)انه قال: أول ما وردت مدينة قم المقدّسة ذهبت إلى حرم السيّدة فاطمة المعصومة (عليها السلام) للزيارة والصلاة.

وفي أثناء الزيارة إذا برجل جاء إليّ وأخذ يهمس في أذني بشيء، فلمّا أصغيت، إذا هو يكيل لي التهم والأكاذيب، ويرشقني بوابل من الكلمات اللاذعة، والسباب والشتائم القبيحة.

فلم أرد عليه بكلمة، فذهب لكنه لم يلبث أن عاد وكأنّه لم يبرد غليله حيث جاء وأخذ يهمس في اذني الثانية بما همس في الأولى أوّلاً.

وفي هذه المرّة أيضاً لم أردّ عليه بكلمة، فذهب ثمّ جاء ثالثاً وقال مهدّداً: لا أدعك تبقى في قم فإرجع من حيث أتيت، ثم أخذ يسبّني بما يحلو له من سباب حتى أفرغ ما في قلبه، ثم ذهب، كل ذلك وأنا ساكت، لم أرد عليه حتى بشطر كلمة، لكن سكوتي هذا جعله يرجع إلى نفسه، ويتوب إلى ربّه، وينقلع عن التعرّض لي بسوء حيث لم يمسني منه مكروه طيلة توقفي في قم المقدّسة ومدّة إقامتي فيها مشتغلاً بالدرس والتدريس.

من هو الأعلم؟

نقل لي أحد الخطباء عن والده قائلاً: كان المرحوم الشيخ حبيب اللّه الرشتي يرى نفسه أعلم من الميرزا المجدّد(قدس سره)، لكن الزعامة الدينية كانت مع الميرزا، وذات يوم كنت عند الشيخ الرشتي والمجلس غاص بأهله، إذ سأله أحد الحاضرين قائلاً: انّا كنّا نقلّد الشيخ الأنصاري (قدس سره) ونرجع إليه في مسائلنا، فمن نقلّد الآن بعد وفاة الشيخ(قدس سره) وإلى من نرجع؟

فأجابه الشيخ الرشتي وقال: إسألوا أهل الخبرة عن ذلك.

قال السائل: وأيّ شخص هو أكثر منكم تخصّصاً في الخبرويّة؟

فأجابه قائلاً: قلّدوا مرجعاً يجوز تقليده.

فقال السائل: ومن هو الأعلم بنظركم القابل للتقليد؟

فقال الشيخ الرشتي(قدس سره): وماذا تريد من الأعلم؟ انّ الميرزا المجدّد الشيرازي اليوم بيده لواء التشيّع، وفي حوزته الزعامة الدينية، والمرجعيّة الشيعيّة، فإلتفوا حوله، لئلاّ يسقط اللواء.

قال الراوي: فتعجّبت من كلام الشيخ وزاد إخلاصي له وحبّي إيّاه، لأنه لم يقل ما لا يكون في نظره صحيحاً، ولم يوجه الرجل إلى نفسه، بل عظّم من بيده لواء التشيّع، ورفع من شأنه، وهذا لا يكون إلاّ لمن ربّى نفسه على الأخلاق والمكارم.

العلماء ورثة الأنبياء

حكي عن أحد رجال الدين انّه كان إبان قضايا المشروطة والمستبدّة من أشدّ الناس تحاملاً على المستبدّين، وبالأخص السيد محمد كاظم اليزدي (قدس سره) وكان وكيلاً من قبل أحد العلماء في بعض بلاد العراق، فلمّا توفي ذلك العالم وصارت الزعامة الدينية والمرجعية الشيعية إلى السيّد سقط في يد الوكيل ولم يعرف ماذا يصنع؟

وأخيراً فكّر في أن يأتي إلى أحد المقرّبين من السيّد ويوسّطه في قضيّته، وهكذا فعل، فقد جاء إلى النجف الأشرف ولقى بعض المرتبطين بالسيّد وأخبره عن أمره.

فقال له: لا بأس عليك كن في الصحن الشريف بعد صلاة العشاء حتّى نذهب إلى السيّد وأتوسّط لك عنده.

فانتظر الوكيل الوسيط بعد الصلاة، ثمّ إلتقيا معاً بالسيّد.

عندها قال الوسيط للسيّد: سيّدنا كان هذا الرجل من المتحاملين عليكم وهو اليوم نادم على ما سبق منه إليكم، وقد جاءكم تائباً ويريد منكم الوكالة ليبقى في مكانه السابق ويكون وكيلاً عنكم.

فقال السيّد: بكلّ انبساط وبشاشة: لا بأس، فليأت إلى البيت لأكتب له الوكالة.

وبهذه البساطة عفى السيّد اليزدي (قدس سره) عنه وقبل منه عذره، ولا عجب، فإنّه من حيث النسب ابن رسول اللّه(صلى الله عليه وآله) ومن حيث الحسب وريث رسول اللّه(صلى الله عليه وآله) فإن رسول اللّه(صلى الله عليه وآله) عفى عن أهل مكّة وبكلّ بساطة.

المرجعية حلم وحزم

نقل لي أحد رجال الدين الثقاة وقال: كنت جالساً في صحن الإمام الحسين (عليه السلام) قرب باب الزينبيّة وكان إلى جنبي رجل آخر كان قد جلس بانتظار أحد، وفي هذه الأثناء وإذا السيد أبو الحسن الأصفهاني (قدس سره) قد خرج من الروضة المباركة قاصداً باب الزينبيّة وخلفه بقليل جماعة من حاشيته.

فقال الرجل الذي كان قد جلس إلى جنبي: سأذهب لأسمع السيد ما أريد، ثمّ قام ولحق السيد وأخذ يهمس في أذنه شيئاً حتى غاب عن نظري.

وبعد قليل جاء الرجل والى مكانه الأوّل وجلس فيه وهو يبكي ويرتجف، فتعجبت من حاله وقلت له: ماذا دهاك؟

فأجاب بعد ان سكن إضطرابه وقال: ذهبت الى السيد وأخذت أسبّه في أذنه بكل سب لاذع، والسيد ساكت لا يتكلم، حتى وصلت معه الى باب داره.

عندها إلتفت اليّ السيد وقال: إبقَ في مكانك ثمّ دخل الدار وخرج وناولني ظرفا فيه كميّة من المال وقال: إذا كان لك حاجة فراجعني شخصيّا، ولا تراجع غيري حتى يصدوك عني، ثمّ قال لي السيد: اني مستعد لأن أسمع كل شتم، لكن رجائي ان لا تسمعني بعد ذلك سب العرض والأهل.

ثمّ أضاف الرجل قائلاً: فأحدث فيّ هذا الخُلق الكريم من السيد ردّ فعل عجيب جعلني أرتجف وأبكي كما ترى.

مع فتوى الميرزا المشهورة

يقال: انّه لما حرم الميرزا الشيرازي الكبير(قدس سره) التنباك، فكر الاستعمار البريطاني ان يقوم عبر سفارته في بغداد بنقض حكم الميرزا بسبب أحد العلماء، فحركت السفارة عبر الوسائط - بحسب عادتها - جماعة من الوجهاء فجاءوا إلى المرحوم الشيخ زين العابدين المازندراني المعاصر للميرزا الكبير وذلك في يوم كان مجلس الشيخ غاصاً بأهله ولما استقروا سأله أحدهم قائلاً: ما تقولون في هذا الحديث: (حلال محمّد(صلى الله عليه وآله) حلال إلى يوم القيامة وحرام محمّد(صلى الله عليه وآله) حرام إلى يوم القيامة)(١٣).

قال الشيخ: حديث لا إشكال فيه.

فقال السائل: أخبرني هل التنباك كان حلالاً قبل تحريم الميرزا أم كان حراماً؟

وهنا عرف الشيخ بالمكيدة، فأجاب قائلاً: كان حلالاً.

قال السائل: فبمقتضى هذا الحديث هو حلال إلى هذا اليوم وإلى يوم القيامة، ولا أثر لتحريم الميرزا؟

قال الشيخ: لا ليس الأمر كما زعمت، بل انّه حرام الآن بسبب فتوى التحريم ولا منافاة بين هذا الحديث الشريف وبين فتوى الميرزا بالتحريم، وذلك لأنّ العناوين الأوليّة، تبقى على حالها ما لم تتعارض مع عنوان ثانوي فإذا تعارضت تغيّرت، كالصوم الذي هو واجب إلى الأبد ما لم يطرء عليه عنوان الضرر، فإذا طرء عليه عنوان الضرر صار حراماً، والتنباك حلال في ذاته لكن طروّ عنوان الضرر عليه صيّره حراماً، فأفتى الفقيه الجامع للشرائط والمرجع البصير بالأمور بحرمته، فأصبح حراماً بفتواه، فهو من اليوم حرام حتى يرجع الميرزا عن حكمه وذلك فيما إذا ذهب العنوان الثانوي...

وبهذا الكلام أكد الشيخ، فتوى الميرزا بالتحريم فسدّ طريق الإعتراض على المعترض بحيث لم يجد ثغرة يتسلل منها الى مآربه.

بين العَلَمين

قيل: انه كان السيد أبو القاسم الكاشاني (قدس سره) يختلف في بعض آرائه السياسيّة مع السيد البروجردي (قدس سره) ولكن السيد البروجردي لم يكن يعبأ بخلافه، ولذلك لما سمع نبأ إعتقال السيد الكاشاني من قبل حكومة الشاه، وعلم بصدور حكم الإعدام عليه، أرسل من فوره إلى الشاه من يخبره بلزوم إلغاء حكم الإعدام عن السيد وإطلاق سراحه.

جاء الرسول إلى الشاه وأبلغه رسالة السيد البروجردي، لكن الشاه تعلل عن قبولها متظاهراً بان الأمر ليس في يده وان المحكمة العليا هي التي تحكم بالسجن والإفراج وكان الشاه يريد إعدام السيد الكاشاني لأنه كان

---

١٣ - راجع الكافي : ٢ / ١٧ ح ٢. ومستدرك الوسائل : ١٢ / ٢١٧ ب ١٤ ح ١٣٩٢٤.

متأثراً منه في قضايا (المصدق) المعروفة.

ولما رجع الرسول وأبلغ السيد البروجردي بالخبر، غضب السيد وقال للرسول: إذهب إلى الشاه، وقل له: ان لم تأمر بالإفراج عنه لحكمت أنا بالإفراج عنه - وكان ذلك تهديداً من السيد البروجردي للشاه بأمر لا يحمد عقباه -.

ولما علم الشاه عزم البروجردي(قدس سره) على ذلك أمر بالإفراج عن السيد الكاشاني فوراً، فأفرج عنه وذلك ببركة حزم السيد البروجردي وتدبيره، وحفاظه على كرامة رجال الدين.

الحفاظ على وحدة الكلمة

كان ولا يزال من عادة المراجع الأخيار مساعدة الجهات الدينية ومساندتها والحفاظ على وحدة الكلمة بين الناس على اختلاف مشاربهم وآرائهم، وذلك بالحفاظ على وحدة رجال الدين لأنّهم قادة الناس وأسوتهم في كل خير، وفي مقدمة الخيرات: وحدة الكلمة.

وكان السيد أو الحسن الأصفهاني(قدس سره) خير نموذج في هذا المجال، فقد كان يبذل الأموال الطائلة في سبيل تأليف القلوب وتوحيد الكلمة، حتى قيل: انّه كان إذا ثبت لديه هلال شهر رمضان - مثلاً - أو هلال شوال، أو ما أشبه ذلك، أرسل رسوله بالمال إلى من يحتمل خلافهم، ثمّ يقول له الرسول بعد ذلك: لقد ثبت الهلال عند السيد الأصفهاني فما رأيكم؟ وكان الجواب هو الموافقة مع السيد.

وكان السيد الحاج آقا حسين القمّي(قدس سره) أيضاً خير مثال في هذا المجال، فقد قيل عنه: انّه كان يتعاهد أحد مخالفيه بإرسال أموال طائلة إليه استمالة له وتأليفاً لقلبه، وكان بذلك يحفظ وحدة كلمة رجال الدين من التصدع والتشتت، حتى لا يطمع من في قلبه مرض في النيل منهم.

كما أن السيد البروجردي (قدس سره) كان هو الآخر أيضاً كذلك، فقد كان - كما قيل عنه -: يوصل المال إلى المخالفين له الذين يأمل فيهم فائدة دينية أو يخشى من مخالفتهم بما يوجب فتّ العضد في كلمة رجال الدين، يؤلف بذلك قلوبهم، ويستميلهم إليه، حتى انّه قال أحد رؤساء بعض الأحزاب الإسلامية - وكان شديد العداء للسيد - ذات مرة: ان السيد البروجردي كان يرسل إلينا المال بين حين وآخر، نعم هكذا كان المراجع الأخيار يؤلفون القلوب إتباعاً للرسول(صلى الله عليه وآله)الذي كان يتألف أصحابه ورؤوس قومه بالمال والمداراة.

كيف نقلب الوشاية نصيحة؟

حكي عن أحد أسباط الشيخ الأنصاري(قدس سره) وهو المرحوم السيد موسى السبط، انّه قال: قيل للشيخ الأنصاري في وشاية تلميذه الميرزا محمد حسن الشيرازي انه عندما تحلّ إحدى المناسبات لزيارة الإمام الحسين (عليه السلام) يذهب الميرزا مع زملاء درسه للزيارة إلى كربلاء المقدسة بالسفينة، ويبسط وقت الغذاء سفرة ملوّنة فيها ما ينافي الزهد ولا يناسب مثل ذلك.

وكان قصد الواشي من كلامه هذا، التنقيص من قدر الميرزا لدى الشيخ، فقال الشيخ للرجل بكل بداهة: رحمك اللّه لقد نبّهتني إلى شيء كنت غافلاً عنه طيلة هذه المدة، وهو ان الميرزا ابن تاجر وقد اعتاد الرفاه في حياته، والنفقة التي يحتاجها للمعيشة كثيرة، وليس مثلي فإني قد اعتدت حياة التقشف ولا احتاج إلى كثير من النفقة، ولكني كنت إلى الآن في غفلة من ذلك وكنت أعطيه بمقدار ما أعطي سائر الطلاب من تلاميذي فمن اللازم عليّ من اليوم فصاعداً ان أزيد في مرتبه الشهري، فرحمك اللّه حيث ذكرتني به، ثمّ زاد الشيخ بعد ذلك في مرتب السيد الشهري، وإعتذر إليه من غفلته، وهكذا قلب وشاية الواشي إلى نصيحة وعظة، والى درس لنا وعبرة.

الصفح الجميل

قيل انّه كان للمرحوم السيد أبي الحسن الأصفهاني ولد شاب فاضل يدير غالب أمور السيد وكان يدعى باسم السيد حسن، فإتفق ان طلب منه رجل يسمى: علي القمي، مقداراً من المال، وحيث لم يكن مع السيد حسن المقدار الكافي من المال أعطاه أقل منه، فأخرج القمي من فوره سكيناً حاداً وذبحه في صحن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وفي صلاة الجماعة وذلك بمنظر من والده ومن الناس.

ولكن حيث كانت العملية هذه قد تمّت بسرعة فائقة تامة، لم يستطع أحد من صدّها والحيلولة دون وقوعها، وإنّما فوجئوا بها كاملاً وسقط في أيديهم، ولذلك كانت هذه الحادثة فاجعة كبرى فجعت الناس يومذاك، وامتحاناً إلهياً كبيراً للسيد(قدس سره)، فقد صبر عليها كما صبر أجداده الطاهرون(عليهم السلام) وأبلى فيها بلاءً حسناً، و غضّ الطرف عنها وعن مرتكبها حتى كأن لم يكن شيئاً مذكوراً.

ولذلك لما ألقت الحكومة القبض على القاتل وسجنته، أرسل السيد رسوله إلى الحكومة ليطالبها بالإفراج عنه، ويبلغها قوله: إني عفوت عنه، إنّه كأحد أولادي، وهل يرضى الأب بأن يجتمع عليه مصيبتان في ولده: قتل أحدهم، وسجن الآخر؟ كلا، أفرجوا عن القاتل، فأفرجوا عنه.

مع الناحية المقدسة

من المعروف ان الميرزا الشيرازي الكبير(قدس سره) صاحب فتوى تحريم التنباك - رغم تشاوره مع علماء عصره ومراجع وقته، وعقده لشورى الفقهاء المراجع - لم يكتب فتوى التحريم إلا بعد ان استأذن الإمام الحجة(عجل الله تعالى فرجه) في الأمر، ويؤيد ذلك انّه كتب في فتواه: استعمال التنباك اليوم في حكم محاربة إمام العصر (عجل اللّه تعالى فرجه الشريف).

وللتنباك قصة طويلة ومفصلة كتبها أحد معاصري الميرزا في كتاب كبير رأيته مخطوطاً عند المرحوم الشيخ ميرزا محمد الطهراني (قدس سره) فحرضته على طبعه ونشره فقال: أردت طبعه لكن الحكومة منعت ذلك.

نعم لم يكن هذا الأمر خاصاً بالميرزا الشيرازي: بل نقل عن بعض علمائنا الأعلام أيضاً ذلك، وأنّهم كانوا يتلقون المهام عن الناحية المقدسة مباشرة، كما يحكى عن الشيخ المفيد والسيد بحر العلوم، والمقدس الأردبيلي، والسيد ابن طاووس وغيرهم رضوان اللّه عليهم جميعاً.

العدالة في العبادات النيابية

حكي عن المرحوم الميرزا محمد تقي الشيرازي(قدس سره) صاحب الثورة ضد الإنجليز، انّه كان يشترط العدالة فيمن ينوب عن الميت لقضاء عباداته الفائتة منه، وذات مرّة جاءه من يطلب منه عبادة نيابية - وكان الميرزا كبقية المراجع مستودعاً أميناً للناس يرجعون إليهم في تسليمهم مبالغ لقضاء ما فات أمواتهم من عبادات - ولم يكن إتفاقاً عند الميرزا شيء من ذلك، فغضب الرجل وإشتد مع الميرزا في الكلام وسبه، كل ذلك والميرزا ساكت لا يجيبه بشيء.

وبعد أيام جيء إلى الميرزا بمبالغ للعبادة، فأمرالميرزا أحد الحاضرين بأن يأخذ بعضه ويدفعها إلى ذلك الرجل.

فقال بعض من حضر للميرزا متعجباً: ان هذا الشخص ليس بعادل بدليل ما صدر منه قبل أيام، وأنتم تشترطون العدالة فيمن ينوب عن الميت لقضاء عباداته الفائتة منه، فكيف تأمرون له بذلك؟ وهل هو صحيح في نظركم أو نسيتم ما صدر منه إليكم؟

فقال الميرزا: ان ما صدر منه ليّ قبل أيام كان من شدة الفقر، ومثله لا يضرّ بالعدالة، لأنّه صدر عن حالة غير طبيعية، إضافة إلى انّه لم يسبّ غيري ولم يتعرض بالسوء لأحد سواي، وأنا قد عفوت عنه واستغفرت له ربي.

ما ينبغي للمرجع

المرجعية منصب ديني إلهي، والمرجع نموذج مثالي للأخلاق والمكارم، ومعلوم انّه بقدر أهمية المنصب وعظم الشخصية تكون المسؤوليات، وتأتي المشاكل والصعوبات، وقد عددت ذات مرة المشاكل والمصاعب التي لاقاها السيد أبو الحسن الأصفهاني(قدس سره) وصمد أمامها، فكانت كثيرة وجسيمة، مثل:

قتل ابنه بتلك الصورة الفجيعة أمام عينيه، وتبعيده من العراق حيث خالف سياسة الملك فيصل، وحمله السلاح ومحاربته للإنجليز في قصة احتلال العراق وهو حينذاك مرجع للناس قد أرجع إليه الشيخ الميرزا محمد تقي احتياطاته، وقصّة هجرته من النجف الأشرف إلى كربلاء المقدسة حينما كثر الضغط هناك حوله واشتراكه مع الآخوند(قدس سره) في قصة المشروطة، وحمل أعبائها، واشتراكه مع القمي(قدس سره)وغيره في طرد الإنجليز من العراق، وذلك إبان الحرب العالمية، وصموده في نشر الإسلام وحفظ التشيع أيام تسلط أمثال البهلوي وأتاتورك وياسين الهاشمي على بلاد المسلمين، وغير ذلك من القضايا التاريخية المهمة.

وهكذا ينبغي أن يصمد المرجع أمام الحوادث والكوارث، والمشاكل والمصاعب، وذلك اقتداءً بالرسول(صلى الله عليه وآله) والأئمة الطاهرين(عليهم السلام)، فإن العلماء هم ورثة الأنبياء(١٤) كما جاء في الروايات

---

١٤ ـ مستدرك الوسائل : ١٧ / ٢٩٩ ب ٨ ح ٢١٤٠٠.

والأخبار.

من غدر الإنجليز

كان المرحوم الشيخ عبد الكريم الزنجاني صديقاً مع أحد شيوخ العشائر العربية الكبار وكان من عادة الشيوخ حسن الضيافة، فكان يستضيف الشيخ الزنجاني في كل عام مرة ويكرمه غاية الاكرام ويزوده بالمال الكثير الذي كان يكفيه وطلابه مدّة من السنة.

تكررت السنين والأعوام على هذه الحالة حتى احتل الإنجليز العراق، وإذا بذلك الشيخ يتفق مع المحتلين الإنجليز للبقاء على مصالحه.

وفور ما علم الزنجاني بذلك أرسل إلى صديقه الشيخ من يحذّره عاقبة توافقه مع المحتلين الإنجليز، ويطلب منه - بنصيحة وصداقة - فسخ إتفاقه ونقض معاهدته معهم، لأنّهم لا وفاء لهم ولا أمان، مذكّراً له بقوله تعالى: (ولا تركنوا إلى الّذين ظلموا فتمسّكم النار)(١٥).

لكن الشيخ لم يعبأ بالرسالة ولم ينزل إلى ما عرضه عليه الزنجاني.

فكرّر الزنجاني رسالته الى الشيخ وحذّره بقطع علاقاته معه وهدم صداقته له، فلم يؤثّر كل ذلك على سلوك الشيخ واتفاقياته، فقاطعه الزنجاني ولم يذهب لضيافة الشيخ كما كان من عادته في كل عام، فكتب إليه الشيخ يستضيفه ويطلب منه الإغماض عما وقع منه، لكن الأمر حيث لم يكن شخصياً وإنما يرتبط بالإسلام والمسلمين أجابه بالجواب التالي: فرّق بيني وبينك كلمة الإسلام والكفر.

وهكذا غض الزنجاني(قدس سره) طرفه عن صداقة الشيخ لأجل الدين، وقطع نظره من تلك المنافع الطائلة لمصالح المسلمين، ولكن الشيخ حيث لم ينزل لنصح الزنجاني وقع بالتالي فيما حذّره منه من غدر الإنجليز، فقد قتلوه شر قتلة في سجون عميلهم: البهلوي الأوّل في إيران.

مع حَمَلَة لواء الإسلام

قيل: انّه ولمبادرة إصلاحية حسنة، حرّم المرحوم السيد أبو الحسن الأصفهاني منبر أحد الخطباء الشهيرين، حيث ان ذلك الخطيب كان يُعرّض في منبره بالعلماء الأعلام وذلك في قصص مشهورة.

وكان التحريم هذا سبباً لتفرق الناس عنه، مما إضطره أخيراً إلى إعلان التوبة وإظهار الندم عند السيد، والسيد هو بدوره قام برفع التحريم عنه وأجاز منبره من جديد، ولكن قبل التوبة ورفع التحريم قال أحد أصدقاء ذلك الخطيب:

ذهبت إلى النجف الأشرف عند أحد العلماء ممن كان في طراز السيد علماً واجتهاداً وقلت له: ألست من المجتهدين والمراجع الذين يرجع إليهم الناس في مسائلهم؟

قال: ثمّ ماذا؟

قلت: فكما ان السيد أفتى بتحريم منبر الخطيب الفلاني الشهير، فأفتوا أنتم في المقابل بتحليله فإنكم لستم

١٥- هود : ١١٣.

بأقل من السيد علماً ومنزلة عند الناس.

عندها أطرق العالم برأسه هنيئة ثمّ رفع رأسه وإلتفت إليّ وقال: يا فلان إتّقِ اللّه ولا تكن سبباً لشق عصا المسلمين، ان لواء الإسلام وراية التشيع اليوم بيد السيد ويلزم على الجميع إتباعه والتعاون معه والإحتراز عن معارضته ومجابهته، فان مجابهته معناه مجابهة الإسلام، وفت عضد المسلمين وذلك مما لا يجوز في الشريعة.

وبهذا الرد الجميل سدّ الطريق على كل من يحاول الشغب وإلقاء الخلاف بين العلماء ولو عن حسن نية، وقطع أطماع الطامعين أصحاب النوايا السيئة الذين يتربصون بالعلماء ويحاولون ضرب بعضهم ببعض عن نيل ذلك.

الاتحاد لا التفرقة

حكي عن بعض ملوك السلسلة الصفوية انه كان ذكياً وحريصاً على نشر الإسلام وترويج التشيع مذهب أهل البيت(عليهم السلام) وكان قد عرف مدى نفوذ المرجعية الشيعية ومحبوبية الفقهاء المراجع في قلوب الشعب الشيعي المسلم، فرأى ان يتوسّل بالمراجع ليكونوا هم الآمرين والناهين.

وذات مرة خرج بصحبة السيد الداماد والشيخ البهائي (قدس سرّهما) - وكان هذان المرجعان يعرفان بوزيريه ومشاوريه - فأراد ان يقوم بعملية إختبار حتى يزداد إيمانه بهما ويقوى اطمئنانه إليهما، وكان أحدهما قد تقدم به فرسه وهو الشيخ، والآخر وهو السيد قد تأخر به مركبه، فأقبل إلى الشيخ وقال له: إنّك رجل متواضع خالٍ عن الكبر ولذا تسرع في المشي، أما السيد ففيه شيء من الكبر حيث انّه قد تأخر لأنّه لا يمشي إلا بخيلاء وتكبّر.

قال الشيخ وهو يردّ عليه: كلا بل بالعكس انّه يلازم السكينة والوقار، واني لأتعجب من فرسه كيف لا ترسخ أقدامها في الأرض من جهة ما تحمله على ظهرها من تمثال العلم والإيمان.

شكر الشاه الشيخ وإعتذر منه، ثمّ تثاقل في مشيه حتى وصل إلى السيد فأقبل عليه وقال له: إنك تمشي كما ينبغي للعالم الوقور والمتّزن ان يمشي في طريقه، لكن الشيخ خفيف النفس غير وقور ولذا تراه كيف يسرع في مشيه ولا يراعي الآخرين.

قال السيد في الردّ عليه: كلا ان الأمر بالعكس انّ الشيخ متواضع وليس بمتكبر ولذا لا يمشي مشي المتكبرين واني لأتعجب من فرسه كيف لا تطير فرحاً مما تحمله على ظهرها من مجسمة الإيمان والعلم.

شكر الشاه السيد وإعتذر منه، ثمّ نزل عن فرسه وسجد للّه شكراً على ما رآه في هذين العَلَمين من الإتحاد والإتفاق والصفاء، والتقوى والإيمان.

وهنا لا بأس بذكر بعض قصص الإتحاد وآثاره البنّاءة، وعرض بعض قصص التفرقة وويلاته المدمّرة، للإشارة إلى أهمية الأوّل وخطر الثاني، فإنّ من أولى الضروريات الحفاظ على وحدة الكلمة والإجتناب على اختلافها، مهما كلف الأمر، ولا يكون ذلك إلا بالاستشارة بين الكبار في السطوح العالية وخاصة بين الفقهاء والمراجع.

*يقال: انّ ملكاً إقترب موته فجمع أولاده وكانوا اثني عشر شخصاً، فأمر بحزمة قصب وشدت بعضها الى البعض فأعطاها لكل واحد منهم وأمره بكسرها فلم يقدر أحد منهم على ذلك، ثمّ فلّها وأعطاها قصبة قصبة

لواحد منهم فكسرها جميعاً، عندها إلتفت الملك إليهم وقال لهم: ان مثلكم في الحياة كمثل هذا القصب ان إتحدتم لم يقوَ على كسركم أحد، وان تفرقتم تمكن من كسركم واحد من الناس.

*وحكي عن أحد الخطباء المفوّهين: بأن خطيبا آخر حسده ولم يتق اللّه فيه، وكان الخطيب المحسود يرقى المنبر في المسجد الجامع للبلد، فقام الحاسد بتهيئة المنبر في المسجد الجامع بظن انّه سوف ينال هذا الحظ إذا منع زميله وسيكون هو الخطيب هناك، لكن هيهات، فقد منع هو أيضاً حيث دعى صاحب المجلس خطيباً ثالثاً.

*ويقال في المثل عن لسان الحيوانات: ان ثلاثة من الأبقار بألوان ثلاثة: أحمر وأصفر وأسود كانت تعيش معاً في مزرعة، فجاء أسد ليفترسها فرأى انه لا يقوي عليها جميعاً، فإحتال في أن يفرّق بينها ليسهل له إفتراسها، فأقبل نحوها وقال: لنمش معاً بأمان، فاني أحرسكم من كل عدو، ولكن هذا الثور الاصفر قد يفضحنا بلونه ويكشفنا للعدو، فلو تخلصنا منه؟ قال هذا وهو ينظر إلى الثور الأسود والأحمر كأنّه يستشيرهما، فأجاباه بدورهما: انّه كما تقول، ولكن كيف نتخلص منه؟ فقال: انّه سهل لو أحرزت موافقتكما، فقالا: نحن موافقون، فقال: أفترسه ونتخلّص منه، ثمّ أفترسه بكل راحة وسهولة وجعله لقمة سائغة، ثمّ أمضى معهما مدة حتى إذا جاع وأضرّ به الجوع إلتفت الى الثور الأسود وقال: انّي قلق وأخاف من العدو ان يكشفنا، فان هذا الثور الأحمر قد يفضحنا بلونه، فسكت الأسود، فواصل الأسد كلامه وقال: فلو تخلصنا منه كي نعيش معاً بأمان؟ فأبدى الثور الأسود رضاه ولم يقل شيئاً، فوثب الأسد على الثور الأحمر وإفترسه بكل سهولة لقمة سائغة، ثمّ بعد مدّة لما جاع الأسد وثب على الثور الأسود وأراد إفتراسه وأكلِهْ، فقال الثور: دعني حتى أتكلم كلمتي الأخيرة، ثمّ صرخ بصوت عال وقال: لقد أُكلتُ حين أُكِلَ الثور الأصفر .

*ويحكى عن شخصين مسافرين مرّا في الطريق على مضيف، فأقاما هناك للاستراحة وبقيا فيه، فقام أحدهما لقضاء حاجته، فسأل الشيخ وهو صاحب المضيف من الآخر عن صديقه قائلاً: كيف صديقك؟ قال: إنّه ثور، فسكت الشيخ ولم يقل له شيئاً، حتى إذا رجع ذلك وخرج هذا لقضاء حاجته، سأله الشيخ عن صاحبه قائلاً: كيف صاحبك، قال: إنّه حمار، فسكت الشيخ أيضاً ولم يقل له شيئاً، لكنه أضمر في نفسه تأديبهما، ولذا لما حان وقت الغداء، أمر بأن يقدم لأحدهما تبناً والآخر شعيراً، فلما قدم لهما ذلك غضبا وقالا: ما هذا الذي قدّمت لنا؟ فقيل في جوابهما: انه بحسب إعتراف كل منكما في حق صاحبه، فان أحدكما قد قال في الجواب لما سألته عن صديقه: انه ثور، وهل طعام الثور إلا التبن؟ وقال الآخر في الجواب لما سألته عن صاحبه: بأنّه حمار، وهل طعام الحمار إلا الشعير؟ فسقط في أيديهما، وعلما أنهما قد عوملا بما في أنفسهما من سوء نية بالنسبة لكل واحد منهما.

*ويقال: انّ ثلاثة أشخاص ذهبوا معاً يتنزهون فدخلوا في طريقهم بستاناً وأخذوا يأكلون منه بلا إذن من صاحبه، فجاء صاحب البستان فلما رآهم يعثون بالفواكه ويسرفون في إقتطافها وأكلها فكّر في تأديبهم، لكن رأى انّه لا يقدر على مقاومة الجميع لانّه واحد وهؤلاء ثلاثة، الا ان يُلقي التفرقة بينهم، ولذلك جاء وأقبل على إثنين منهم وقال: كأني أراكما من معارفي فاهلاً بكما، وهنيئاً لكما، ولكن أخبراني عن هذا الثالث بأنّه بإذن من دخل البستان وبإذن من أكل ما أكل فإني لا أعرفه؟ فقالا في جوابه: ونحن أيضاً لا نعرفه. فقال: إذن هو متجاوز ويجب تأديبه، ثمّ إلتفت إليهما وقال: أعينوني عليه، فشدوه بنخلة من نخيل البستان ثمّ أوجعه ضرباً، وبعد برهة من الزمان إلتفت إلى واحد من هؤلاء الإثنين وقال: أخبرني من أنت لأعرف هل أنت كمن ظننت من معارفي أم

لا؟ فقال: اني فلان ابن فلان الكذائي، فقال صاحب البستان: عجيب اني اذن مشتبه في ظني، فلست انت من تخيلت انّه من معارفي، ثمّ إلتفت إلى الآخر وكأنه يحرّضه عليه وقال: إذن صاحبك هذا متجاوز فأعنّي على تأديبه، ثمّ شدّه بنخلة ثانية من نخيل البستان وأوجعه ضرباً، وبعد فترة أخذ صاحب البستان أهبته وأقبل على الأخير وقال له: وأنت أيضاً كصاحبك أتصور انّي مشتبه فيك، ولما أراد أن يعرّف هذا الأخير نفسه، فاجئه صاحب البستان بالقبض عليه ثمّ شده بنخلة ثالثة في البستان وأوجعه ضرباً، وهكذا استطاع تأديبهم جميعاً لما فرّق بينهم.

إلى غير ذلك من القصص الكثيرة الواردة بهذه المضامين في هذا المجال وربما لا يقدر الإنسان على حفظ الوحدة وإتحاد الكلمة لعنف طرفه وشدة خُرقه فاللازم عليه ان يسكت من ناحيته ويتحلى بالرفق والحلم تجاهه حتى يقلّل من حدة التوتر وشدة الخلاف.

كيف تتألف القلوب؟

يحكى عن المرحوم السيد أبي الحسن الأصفهاني(قدس سره) انّه أرسل وكيلاً إلى أحد المناطق الشمالية في العراق، لإرشاد الناس وتعليمهم المسائل والأحكام، وكان هناك شيخ عشيرة في المنطقة، فقام بمعارضة الوكيل أشد المعارضة حتى عجز عنه الوكيل، فراجع الوكيل حاكم المنطقة ليمنع منه الشيخ.

فقال الحاكم: اني لا أقدر على منع هذا الشيخ عنك لعشيرته الكبيرة، فان أردت ذلك فقل للسيد أبي الحسن يأمر من يراجع وزارة الداخلية ويطلب منهم توفير الحماية لك، وحينذاك تبعث لنا الوزارة إمكانات فنقوم رسمياً بمنع الشيخ عنك.

فجاء الوكيل إلى السيد ونقل له القصة.

فقال السيد: لا بأس ثمّ كتب كتاباً إلى ذلك الشيخ يخصه وعشيرته بالسلام ويوصيه بالوكيل وجعل في الكتاب مبلغاً محترماً من الدنانير وقال للوكيل: اذهب إلى المنطقة وأدخل على الشيخ في ديوانه وأعطه هذا الكتاب.

فجاء الوكيل وفعل ما أمره السيد، فلما فتح الشيخ الكتاب ورأى المبلغ المحترم من الدنانير والعطف والحنان من السيد إنقلب إلى صديق مؤالف، واحترم الوكيل غاية الاحترام، وأمر قومه وعشيرته باحترام الوكيل وحضور مجلسه والاستماع إليه، وإطاعة أوامره، والتعاون معه، وهكذا فعلوا.

فتوسّع نفوذ الوكيل في تلك المنطقة واستطاع إرشاد كثير من الناس وهدايتهم الى مذهب أهل البيت(عليهم السلام) ونشر الثقافة الإسلامية هناك.

وذات مرة جاء الوكيل الى النجف الأشرف مع جماعة من أهالي تلك المنطقة لزيارة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) والإلتقاء بالعلماء وبالسيد وزيارته، وعندما إلتقى الوكيل بالسيد، قص له تأثير الكتاب وتعطف شيخ العشيرة معه، فإستبشر السيد من الخبر وقال: هكذا أمرنا الإسلام ان نتعامل مع الناس.

تهادوا تحابّوا

هناك قصة أخرى منقولة عن السيد أبي الحسن الأصفهاني(قدس سره) أيضاً مشابهة للقصة السابقة وهي:

انّـه(قدس سره) أرسل وكيلا آخر إلى نقطة أخرى من مناطق العراق، فأنكره شيخ العشيرة في تلك المنطقة ومنع الناس منه وهدّدهم بقطع الماء عنهم وقال: كل من يكلم الوكيل أو يصلي معه أو يحضر مجلسه فهو محروم من الماء، وكان ماء تلك المنطقة بيد الشيخ.

فلم يقدر الوكيل على البقاء هناك لمقاطعة الناس له، فرجع إلى النجف الأشرف لينقل للسيد القصة ويستشيره في الأمر.

فقال له السيد: لا بأس زرني غداً، وفي الغد لما جاء الوكيل إلى السيد، أعطاه السيد فروة ثمينة وعشر ليرات، وقال إذهب بهما إلى الشيخ وبلغه سلامي وتحياتي وقدمهما إليه.

فجاء الوكيل إلى الشيخ وهو في ديوانه وقدمهما إليه وبلغه تحيات السيد وسلامه.

قال الوكيل: فلبس الشيخ الفروة وأخذ يختال فيها كالطاووس عندما ينشر جناحيه وقال: أهلاً بك وبمن أرسلك، ثمّ إلتفت إلى عشيرته ومن حوله في المجلس وقال مهدداً لهم: ان من لا يذهب الى صلاة الوكيل ومجلسه أو لا يتعاون معه ويطيعه، يمنع عنه الماء، مما سبب توجه جميع أهل تلك المنطقة نحو الوكيل والإلتفاف حوله، والإهتداء بتبليغه وإرشاده.

بين الآيتين الشيرازي والمازندراني

كان الميرزا الكبير الشيرازي(قدس سره) والشيخ زين العابدين المازندراني(قدس سره) معاصرين في فترة من الزمان وكانا في تلك الفترة مرجعين كبيرين من مراجع المسلمين في العالم، فقد كان كثير من مسلمي الهند يقلدون الشيخ المازندراني كما كان كثير من المسلمين يقلدون الميرزا الشيرازي(قدس سره) وكان الصفاء بين هذين المرجعين نتيجة تقواهما الى درجة بحيث ان زوجة الميرزا لما سألت الميرزا عن احتياطاته الى من ترجع فيها، أرشدها بالرجوع الى الشيخ، وكان هذا من صفاء الميرزا.

وأما صفاء الشيخ فقد قيل: انّه جاء بعض مسلمي الهند ممن يقلد الميرزا إلى الشيخ وقالوا له ما معناه: هل إنكم أيضاً ممن يقلد الميرزا القبلة الكعبة؟ والقبلة الكعبة: من الألقاب المهمة التي كان ينحلها مسلمو الهند علمائهم ومراجع دينهم.

فقال الشيخ: نعم انا أيضاً أتوجه إلى القبلة والكعبة، وهو يقصد من ذلك التوجه إلى القبلة في الصلاة ولم يصرح بانّه لا يقلد الميرزا حفاظاً على عظمة الميرزا وتثبيتاً لمرجعيته، وإعظامه في أوساط المسلمين عامة، ولدى مقلديه خاصة، وهذا لا يكون إلا من صفاء القلب وشدة التقوى والورع.

قصص عن قائد ثورة العشرين

قيل: إنّه إقترح بعض رجال الدين على المرحوم الميرزا محمد تقي الشيرازي(قدس سره) - قائد ثورة العشرين ضد الإحتلال البريطاني - الإقتراح التالي قائلاً: انكم أسوة للناس وقدوتهم لكل خير، ولذا من الأفضل ان تقبّلوا عتبة الإمام الحسين (عليه السلام) حتى يتعلم الناس هذا التأدّب منكم.

فأجاب الميرزا قائلاً اني أقبّل عتبة العباس(عليه السلام) والحر (عليه السلام) فكيف بالإمام الحسين (عليه

السلام)؟ وهكذا كانوا يعلمون الناس التوجه إلى قادة الإسلام وأئمة المسلمين من أهل بيت رسول اللّه(صلى الله عليه وآله).

*ونقل لي والدي (رحمه اللّه تعالى) عن عمي السيد ميرزا عبد اللّه(قدس سره) الذي كان ملازماً للميرزا(١٦)- علماً بأن الميرزا(قدس سره) من أخوال والدي وعمي - انه مع طول ملازمته للميرزا لم تقع عينه في عيني الميرزا إلا مرّتين، حيث ان الميرزا كان شديد الحياء، كبير التواضع، كثير الفكرة، مطراقاً لا يرفع رأسه حتى مع من يريد ان يكلمه إلا نادراً، ولذلك لم تقع عين أحد في عينيه عادة.

*ونقل لي والدي(قدس سره) أيضاً: بأنّ الميرزا إنحرفت صحته وتدهور مزاجه وحاله، وإتفق ان أهله سافروا مدينة بلد لزيارة السيد محمد أخ الإمام الهادي(عليه السلام) فأخذ عمي المذكور يباشر إدارة أموره الداخلية ويهيّء له طعامه وشرابه معتنياً به في ذلك من حيث الجودة والتركيز، فتحسّنت حاله وإعتدلت صحته، وتبيّن ان الإنحراف في صحته إنما كان قد نشأ من سوء التغذية، ومن عدم التركيز في الطعام الذي كان يقدم إليه، ولم يكن من عادته ان يأمر أحداً بشيء إطلاقاً وخاصة في مجال الغذاء واللباس وما أشبه ذلك مما يخصّه.

*ونقل أحد علماء النجف الأشرف قائلاً: صحبت أنا وجماعة، الميرزا محمد تقي الشيرازي(قدس سره) ذات مرة إلى زيارة مسجد السهلة، وبعد ان أتم أعماله خرج وخرجنا معه بإتجاه مسجد الكوفة، ولما إبتعدنا مقداراً عن المسجد، إذا به يبحث عن شيء ويلتفت يميناً ويساراً، فسألناه عما إذا فقد شيئاً، فلم يجبنا بشيء، وإنما رجع إلى ورائه حتى دخل المسجد وجاء إلى مكانه الذي كان قد جلس فيه، وإذا بقلمه ومحبرته قد نسيهما هناك، فأخذهما وإلتحق بنا، ثمّ لما سألناه أرانا القلم والمحبرة وقال: قد نسيتهما في مكاني فرجعت وأخذتهما. فتبين لنا انّه من عفّة نفسه لم يحب تكليف أحد حتى بمثل هذا التكليف البسيط.

*وحكى أحد تجار كربلاء المقدسة وكان وكيلاً في توزيع الخبز من قبل الميرزا(قدس سره) قائلاً: وكنت ذات مرّة قد أتيت إلى دار الميرزا للمحاسبة، فلم أجده، فإحتملت ان يكون على السطح فصعدت السطح فإذا بي أراه مفترشاً جبهته الأرض، ساجداً للّه تعالى وهو يبكي ويناجي ربه، قال: فقلت في نفسي: لعله لا يحب أن أراه بهذه الحالة، فرجعت إلى صحن الدار وأخذت أناديه برفيع صوتي، فقال: من المنادي؟ قلت: أنا، فأذن لي بالصعود إليه بعد ان قام ولبس عباءته وقبائه وعمامته ورادئه ومسح دموع عينيه وتراب وجنتيه، فصعدت فرأيته في حالة طبيعية، فصفيت حسابي معه وودّعته وخرجت.

إلى غير ذلك من أحواله العجيبة وزهده وورعه وتقواه، حتى قال أحد تلامذته، كنا إذا سُئِلنا عن عدالة الميرزا، نقول لهم: إسألوا عن عصمته الصغرى(١٧)؟

من لطائف قصة التنباك

١٦- الميرزا الشيخ محمد تقي الشيرازي (قدس سره).

١٧ - راجع حول حياة الميرزا كتاب (الإمام الشيخ محمد تقي الشيرازي قائد ثورة العشرين).

قيل: أنّ الميرزا الشيرازي الكبير(قدس سره) لما كان في سامراء كان يواظب على تربية نخبة من رجال الدين النزيهين ويشجعهم على البقاء هناك وكان إذا رأى الإعوجاج من أحد الطلاب نصحه وحثّه على الإعتدال، فإذا لم يعتدل هيأ وسائل خروجه من سامراء - من غير مباشرة - وذات مرّة إتفق ان جاء أحد أبناء الأشراف من طهران إلى سامراء وتتلمذ على الميرزا، لكنّه كان ينتقص الميرزا في مجالسه، وكلّما قيل للميرزا بقطع مرتبه الشهري أو إخراجه من سامراء، لم يجبهم إلى ذلك.

وبعد مدّة جاء وفد من طهران إلى سامراء وطلبوا من الميرزا أن يرسل لهم وكيلاً.

فقال لهم الميرزا: وهل ترغبون أن يكون فلان وكيلي فيكم - وهو يقصد ذلك الذي كان ينتقصه -؟

قالوا: نعم.

فهيأ الميرزا أسباب سفره بأحسن وجه وكتب له الوكالة عنه وأرسله معهم إلى طهران بكل احترام ممّا أثار اعتراض المطّلعين عن حاله على الميرزا لكن الميرزا لم يلتفت إلى إعتراضهم وسكت عنهم حتى ثارت قصة التنباك.

وكان هذا الوكيل، قد إرتفع شأنه وصار من علماء طهران المبرّزين ومن المقرّبين لناصر الدين شاه ففكّر الشاه في نقض حكم الميرزا على أيدي رجال الدين أنفسهم ولذا أمر هذا العالم أن يدعو العلماء إلى داره ويخبرهم بأنّ الشاه يريد الاجتماع بهم في داره، فلمّا اجتمعوا جاء الشاه ولما استقر به المجلس أقبل عليهم وقال: (أليس حلال محمّد(صلى الله عليه وآله) حلال إلى يوم القيامة)(١٨)؟

قالوا: بلى.

قال فمن هو الميرزا محمّد حسن الشيرازي الذي حرّم التنباك؟

فأحجم العلماء عن الجواب وعمّ المجلس السكوت لحظات، وإذا بهذا العالم نفسه يخترق السكوت ليقول للشاه: أيها الشاه لا تقل (محمّد حسن) انّه زعيم الشيعة ورئيس الحوزة، ومقتدى الناس ونائب الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه)، إنّه آية اللّه العظمى الحاج ميرزا محمّد حسن الشيرازي أدام اللّه ظلّه على رؤوس الأنام.

فغضب الشاه وقال: ثمّ ماذا، وما أنتم صانعون؟

فأجابه هذا العالم: إنّنا بإنتظار تنفيذ أمره وإلاّ نفذناه نحن بالسيف.

وهنا غضب الشاه غضباً شديداً وقام وخرج من المجلس وهو يقول: أردناه لنا عوناً فإنقلب علينا فرعوناً.

وهكذا فشل الشاه في تآمره على رجال الدين وتخطيطه لحفظ مصالحه الشخصيّة.

فكتب بعض الحاضرين تفصيلاً عن القصّة إلى الميرزا وأرسله إليه.

فلمّا وصل الميرزا ذلك طلب المنتقدين له والمعترضين عليه في قصة توكيله ذلك الذي كان ينتقصه في مجالسه وعدم موافقتهم له في إرساله إلى طهران وكيلاً عنه، وأراهم الرسالة.

فلمّا عرفوا مضمونها، إعتذروا من الميرزا وأكبروه على حسن سلوكه وبُعد نظره، وعلموا أنّ الرفق بالناس والمداراة لهم من أهمّ الأمور في الحياة.

١٨- راجع مستدرك الوسائل : ١٢ / ٢١٧ ب ١٤ ح ١٣٩٤٢٤.

مع الشيخ كاشف الغطاء

يقال: أنّه سئل الشيخ جعفر، صاحب كتاب كشف الغطاء (قدس سره)عن أنّه هل من الصحيح أنّ النبي(صلى الله عليه وآله)، أو الإمام (عليه السلام) لا يعصي اللّه تعالى طيلة عمره وكيف يمكن ذلك؟ فأجاب قائلاً: وهل تتعجّبون من ذلك؟ فإنّه لا عجب إذ انّي لست بمعصوم ولم أفعل مكروها طيلة أربعين سنة، فكيف بالإمام المعصوم(عليه السلام)؟

نعم إنّ علمائنا الأخيار هم كذلك، ومن اللازم على الجميع الإقتداء بهم وخصوصاً طلاب العلوم الدينيّة، فإنّ خير الدنيا وسعادة الآخرة في التقوى وإجتناب معصية اللّه تبارك وتعالى.

كتاب بكتاب

كتب رجل بعيد عن الآداب الإسلاميّة إلى العالم العظيم الخواجه نصير الدين الطوسي(قدس سره) كتاباً خشناً وكان في جملة ما كتب فيه: (يا كلب).

فأجابه الخواجه الطوسي(قدس سره) في كتاب بجواب ليّن، وكان في جملة ما كتب فيه: وأمّا خطابك لي بالكلب، فإنّي لست بذلك، فإنّ الكلب منحني الظهر، وأنا مستقيم القامة أمشي على رجلين، وما أشبه هذه العبارات، وذلك بكل هدوء ورفق، وبدون أيّ خشونة وخُرق ممّا أدّى إلى خجل الكاتب والإعتذار منه.

المرجع السمح

كان أحد العلماء المعاصرين للآخوند الخراساني(قدس سره) مخالفاً لبعض آراء الآخوند الخراساني(قدس سره) ومُظهراً لخلافه له.

قال: فجاءني ذات يوم رجل غريب وهو يحمل كيساً مملوءاً بليرات ذهبية وقال: من هو المرجع هنا؟

قلت: إنّ فلاناً هو من المراجع وأنا موافق له لكن لا يعطي، والآخوند هو من المراجع أيضاً وأنا مخالف له لكن يعطي.

قال الرجل الغريب: ليس لي حاجة بمن لا يعطي، فاذهب بي إلى من يعطي.

قال: فأخذته إلى دار الآخوند وأنا فقير محتاج إلى ليرة واحدة منها، فدخلنا على الآخوند فرأيناه يتوضأ، فقلت للرجل الغريب: إنّ هذا الذي يتوضأ هو الآخوند، فالتفت إليه الرجل الغريب وقال: إنّ هذا المال هو ثلث ميّت وقد جئت به إليك.

فقال له الآخوند: تقبّل اللّه منه ومنك ورحمه وإيّاك، نعم ضعه على الحصير، ثمّ أتمّ وضوئه، وقد ذهب الرجل.

عندها قال لي الآخوند: خذ هذا المال لك.

فتعجبت من كلامه وقلت: لا إنّما آخذ بعضه.

فقال الآخوند: كلا، بل كلّه لك وبالتالي وبإصرار كثير أعطاني المال كلّه ولم يرضَ لي بغيره، ممّا صار ذلك سبباً لأن أرفع اليد عن مخالفتي له، وأن أكون بعد إظهار الخلاف له ممّن يظهر الوفاق له ويعلن بالمحبّة

والإجلال، والمدح والثناء عليه.

من شروط إجراء الحدود

يشترط في إجراء الحدود، والقوانين الجزائية في الإسلام، شروطاً من أهمّها:

تطبيق كل أحكام القرآن والإسلام تطبيقاً صحيحاً كاملاً وذلك في الأوساط الاجتماعية والشخصية، والأبعاد السياسية والاقتصادية وغيرها، فإذا طبق كل ذلك وفي كل المجالات، وصار الجوّ والمناخ جوّا ومناخاً إسلامياً عندها يأتي في آخر المطاف دور تطبيق الحدود الإلهية والقوانين الجزائية في الإسلام مع رعاية شروطها الخاصة.

والظاهر: انّ هذه الشروط كانت متوفرة كلها في زمن المرحوم البهبهاني نجل العلامة الوحيد البهبهاني(قدس سره)، مما جعله يفتي بإجراء الحدود في عصره وزمانه ويقيمها على المستحقين في بلده ومكانه.

وذات مرة جاؤوا اليه بساحر قد ثبت عليه إرتكابه للسحر وقتله لإنسان بري، فلما أراد إجراء الحد عليه، قال له الساحر: انك لو أجريت الحدّ عليّ لم تبق حياً أكثر من إسبوع واحد، وكان الساحر يقصد من قوله هذا التهديد له بسحره والقضاء على حياته بالسحر في مدة إسبوع.

فأجابه البهبهاني بكل صراحة: ان الحدود الإلهية لا تعطّل بمثل هذه التهديدات، ثمّ أمر بإجراء الحد عليه.

الحقوق الشرعية

حكي عن المرحوم الحاج آقا رضا الهمداني (قدس سره) صاحب كتاب: (مصباح الفقيه) : انّه أيام كان في سامراء أصبح مديوناً، وذات مرّة جاء إليه شاب وهو في إبان بلوغه، وأوّل تكليفه وقال له: اني أريد ان أقلّدكم في مسائل ديني وأرجع إليكم فيها، وقد جعلت رأس سنتي المالية أوّل بلوغي وهذا مقدار خمسي أقدمه إليكم.

فقال الهمداني (قدس سره) في جوابه: أما التقليد مني فلا بأس به، وأما الحقوق الشرعية فإني غير مستعد لاستلامها.

وكلما أصر عليه الشاب في أخذها، لم يقبل ذلك، حتى رجع الشاب خائباً من إستلام الهمداني لخمسه.

عندها سُئل الهمداني(قدس سره) عن سبب إمتناعه وعدم تسلّم المال، مع أنّه مديون ولا مال له؟

فأجاب: أما إني مديون فلا مشكل لأنّ اللّه تعالى قد وعد بوفاء مثل هذه الديون، وأما إنّه لا مال لي فقد ضمن اللّه رزقي وتكفل لي بذلك، وبعد هذا كله، فما حاجتي إلى أخذ الحقوق الشرعية، التي يجب صرفها في محلها وهو خارج من وسعي وقدرتي، وان أخذها يوجب لي اشتغال الذمة وإعظام التكليف، والوقوع فيما لا اطيق؟

نعم انّ المرجع الذي يستلم الحقوق الشرعية ليس هو فيها أكثر من أمين فيأخذها من أصحابها ليسلّمها إلى مستحقيها، وانّ المراجع عادة لا يصرفون منها شيئاً على أنفسهم وفي أمورهم الشخصية، وإنّما يضيقون على أنفسهم ويقنعون بموارد الهدايا وما أشبه من الأموال الشخصية ويصرفون الأخماس والزكاة في مواردها: من

إسعاف المحوجين، وهداية الضالين، ونشر الإسلام، وترويج المذهب الحق مذهب أهل البيت(عليهم السلام)، وتأليف القلوب وجمع الكلمة، وفي مصالح المسلمين العامة وغير ذلك مما ذكر في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة.

الكلمة الأخيرة

وهذا آخر ما أردنا سرده من قصص علمائنا الأعلام في هذا الجزء من الكتاب ونحن نرجو اللّه تعالى أن يوفقنا لأن نذكر قصصاً أخرى في هذا المجال في جزء ثان(١٩) ان شاء اللّه تعالى.

كما ونسأله تعالى ان يوفقنا لصالح الأعمال ولنشر آثار شخصياتنا العلمية والدينية، وأن يوفقنا لإتباع آثارهم والإقتداء بسيرتهم حتى نكون كما قال الإمام زين العابدين(عليه السلام):

(اللهم صلّ على محمّد وآله، وسدّدني لأن أعارض من غشّني بالنصح، وأجزي من هجرني بالبرّ، واثيب من حرمني بالبذل، وأكافي من قطعني بالصلة، وأخالف من إغتابني إلى حُسن الذِكر، وان أشكر الحسنة، وأغضي عن السيئة)(٢٠).

سبحان ربك ربّ العزة عمّا يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد للّه رب العالمين، وصلى اللّه على سيدنا محمّد وآله الطيبين الطاهرين.

كربلاء المقدسة
محمّد بن المهدي الحسيني الشيرازي
١٣٨٨/هجرية

١٩ـ قد ألفّ الإمام الشيرازي حول العلماء وقصصهم هذه الكتب : (من قصص العلماء)، و (من تقوى العلماء)، و (من نهج العلماء)، و (حقائق من تاريخ العلماء)، و (العلماء أسوة وقدوة)، وغيرها.

٢٠ـ الصحيفة السجادية، دعاء مكارم الأخلاق.